العناصر التعليمية في الخطاب النبوي اللفظي

د. السر أحمد محمد سليمان

أستاذ علم النفس التربوي المساعد – كلية المعلمين بحائل – المملكة العربية السعودية، وكلية التربية بجامعة أم درمان الإسلامية – جمهورية السودان

ملخص

الخطاب النبوي اللفظي هو الأسلوب الذي استخدمه الرسول ﷺ، في تبيان الرسالة الإسلامية في جوانبها المختلفة، عبر أحاديثه النبوية اللفظية الشريفة، وتمكن الصحابة رضوان الله عليهم من حفظ نصوصها ونقلها للآخرين بصورة دقيقة جداً، مما يدل على البراعة في عرضها لهم، ويأتي هذا البحث ليتعرف العناصر التعليمية في الخطاب النبوي اللفظي التي يسّرت عمليات اكتسابه وتعلمه، وتم التحقق من ذلك الهدف بعد دراسة تحليلية للأحاديث النبوية الصحيحة، المتفق عليها بين البخاري ومسلم رحمهما الله. وأسفرت النتائج عن العناصر التعليمية التالية:

١ – الأنماط التعليمية للمحتوى اللفظي للأحاديث وهي: الأمثال التعليمية، والقصة التعليمية، والاستفهام، والتحديد الرقمي، الاقتباس البليغ، واللفظ المباشر.

٢ – كيفية الأداء اللفظي للأحاديث: التكرار، والنداء، والصمت، وتغير نبرات الصوت، والتفاعل اللفظي مع المتعلمين.

٣ – السلوك الحركي أثناء التحدث: التعبير بالوجه، والتبسم والضحك، والبكاء وحركة العيون، والإشارة اليدوية، وتغيير وضع الجسم، والتمثل الانفعالي للموقف.

٤ – الوسائل التعليمية المستخدمه: الكتابة، والرسم، والعينات المادية، وأدوات للفت الانتباه، والمشاهد العابرة، والعناصر الكونية.

٥ – الشروط المرتبطة بالتحدث اللفظي المباشر هي: سمات شخصية المتحدث، والوضع المكاني للمتحدث، والتنظيم الزمني، والهدوء أثناء التحدث، وإسماع الصوت للمتلقين، والتسلسل في القول، والاختصار، والأمن والحب للمتعلمين، والحرية للمتعلمين في تفاعلهم اللفظي، والاتصال البصري، وتفقد المتعلمين، والإجابة على قدر السؤال، واللطف مع المخطئين، والمراجعة والتقويم.

مقدمة :

ظل الإنسان منذ فجر التاريخ يحاول إكساب الخبرات الإيجابية - في نظره - إلى أجياله اللاحقة، وحتى يتسنى له القيام بهذه المهمة بصورة أحسن، ازدادت حاجته إلى معرفة الطرق والأساليب الأكثر يسرا وفاعلية في التعليم، مما أدى إلى ظهور النظريات والتطبيقات التربوية التعليمية، في العصور المختلفة، عند معظم المجتمعات، هادفة إلى تقليل الجهد والوقت، وتوضيح الأساليب المثالية لإحداث التعلم الفعال.

واللافت للنظر أنه مع تعدد وتنوع النظريات والتطبيقات في التربية والتعليم قديماً وحديثاً إلا أن مخرجاتها ونتائجها لم تصل إلى مرحلة التأثير التي أحدثها الرسول المصطفى ﷺ في صحابته الكرام، ومع تطور التقنيات، ذات الأنظمة المتعددة في حفظ الصوت والصورة والموقف، ووجود شبكات الاتصال المتنوعة، وتعدد وتنوع أدوات النسخ والكتابة المتوافرة بين يدي المربين الآن، إلا أننا لا نجد معلماً أو قائداً أخذ عنه أتباعه ما حفظه الصحابة عن الرسول ﷺ فعلا وقولا، مع عدم توافر الأدوات والمدخلات التربوية المنتشرة اليوم والتي تيسّر عمليات التعليم والتعلم.

وما تجدر ملاحظته أن المعلمين والدعاة المعاصرين، الذين يرددون الأحاديث النبوية اللفظية نفسها، لا يحدثون تأثيراً كبيراً في طلابهم بالمقارنة مع ما أحدثه الرسول ﷺ في صحابته بنفس محتويات تلك الأحاديث. ومن جانب آخر نلاحظ تشابه الخطاب والأسلوب من المبلغين للمتلقين برغم تباين الموضوعات المتناولة، وتباين المتلقين من حيث الفروق الفردية، وتباين الحاجات لدى كل منهم، واختلاف مستوى نموهم. حتى أصبح هَمّ المشتغلين بأمور التربية والدعوة هو الموضوع المراد تبليغه فقط، بصورة تكاد تعزله عن الطريقة التي سيقدم بها، ولمن يراد تقديمه له.

لذلك يبدو أننا في حاجة ماسة إلى بحث العناصر التعليمية التي يسّرت الخطاب النبوي، مما أدى إلى بلوغه ذلك المرقى الرفيع من التأثير الإيجابي في

المتلقين. والذي أدى تغييب معرفتنا به - أي الخطاب النبوي التعليمي - وتضييع تطبيقه في ميادين العمل التربوي إلى مشكلات تعليمية تربوية في العالم الإسلامي بصورة لا تخطئها عين. فهل نتمكن من معرفة عناصر الخطاب التعليمي النبوي؟ وهل يمكن أن نستفيد منها تطبيقاً في المجال التربوي ليرتقي مستوى الخطاب التعليمي لدى المعلمين والدعاة ليحدثوا تغييرا إيجابياً في المتلقين والمتعلمين؟

مشكلة البحث:

روى الصحابة رضي الله عنهم عشرات الآلاف من الأحاديث النبوية، التي تم تدوينها في كتب الحديث فيما بعد، حيث حوى صحيح البخاري ٧٥٦٣ حديثاً (البخاري، ١٩٩٨)، وحوى مسند الإمام أحمد ٢٧١٠٠ حديثاً (ابن حنبل، د ت). هذه الحقيقة أثارت لدى الباحث بعض الأسئلة منها: كيف تمكن الصحابة من حفظ هذا العدد الكثير من الحديث النبوي؟ هل هذا يعود إلى ميسرات تعليمية خاصة بالأحاديث النبوية؟ أم لخصائص الصحابة أنفسهم، وإمكانياتهم وقدراتهم الخاصة؟. وإذا تناولنا من هذه الأسئلة السؤال المرتبط بالميسّرات التعليمية في الأحاديث النبوية، لبحث العوامل التعليمية التعلمية المرتبطة بالأحاديث يمكن أن نطرح أسئلة فرعية أخرى: هل هناك مميزات تعليمية معينة تضمنتها نصوص تلك الأحاديث؟ وهل قدمها الرسول ﷺ في سرد لفظي عادي؟ أم أنه استخدم طرقاً وأساليباً ووسائل يسرت للصحابة تعلمها وحفظها؟ وهل قدمها الرسول ﷺ دفعة واحدة للجميع؟ أم أنه ﷺ كان يهيىء الظروف التعليمية الخاصة بالمكان والزمان والمتلقين؟ كل هذه الأسئلة المرتبطة بالميسّرات التعليمية للأحاديث النبوية اللفظية تولدت عنها مشكلة البحث الحالي، والتي يمكن تحديدها وصياغتها في سؤال واحد شامل هو: ما العناصر التعليمية في الخطاب النبوي اللفظي، التي يسّرت للصحابة تعلم وحفظ الأحاديث النبوية الشريفة؟

أسئلة البحث:

للإجابة عن السؤال الرئيسي السابق لمشكلة البحث، لتعرُّف العناصر التعليمية في الخطاب النبوي اللفظي، تفرعت الأسئلة التالية:

١ - ما النمط التعليمي للمحتوى اللفظي للأحاديث النبوية الشريفة؟
٢ - كيف أدى الرسول ﷺ الأحاديث لفظياً؟
٣ - ما السلوك الحركي والوضع الجسمي للرسول ﷺ أثناء الحديث اللفظي؟
٤ - ما الوسائل المادية التي استخدمها الرسول ﷺ مع الحديث اللفظي؟
٥ - ما الشروط التعليمية التي ارتبطت بالحديث اللفظي للأحاديث النبوية؟

أهمية البحث:

تتضح أهمية بحث موضوع العناصر التعليمية في الخطاب النبوي اللفظي من النقاط التالية:

١ - إن القرآن الكريم يحثنا على التأسّي بالرسول الكريم ﷺ: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً**﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٢٥)، ولذلك نسعى من خلال هذا البحث لمعرفة العناصر التعليمية في الخطاب النبوي اللفظي، لتطبيقها في الواقع التربوي، تأسياً بالرسول ﷺ.
٢ - إن النجاح الكبير للأسلوب النبوي الذي أدى إلى تعليم الصغار والكبار، الذكور والإناث، الأفراد والجماعات، وحقق تلك النقلة النوعية والكمية المشهودة، في فترة زمنية وجيزة لم تتعد ربع قرن من الزمان، يحفزنا ويدفعنا لتطبيقه في أنظمتنا التعليمية المعاصرة.
٣ - المشكلات الكبيرة التي تعاني منها أنظمتنا التربوية الحالية، وحاجتنا الملحة للإصلاح التربوي في مجتمعاتنا، تدعونا إلى البحث عن المخرج السليم والذي نعتقد أن الأسلوب النبوي يوفره لنا، فعلينا أن نستخلص ذلك الأسلوب.
٤ - التناقضات الكبيرة بين النظريات والتطبيقات التربوية في كثير من العلوم التربوية والسيكولوجية تجعلنا نبحث عن نمط وأسلوب يتوافر فيه الاستقرار. وهذا ما كان موجوداً في النمط التعليمي النبوي.

الدراسات السابقة:

تعددت وتنوعت الدراسات التي تناولت التربية النبوية الشريفة في جوانبها المختلفة بصورة عامة، منذ أن بدأ تدوين المعارف الإسلامية إلى يومنا هذا، حيث حقق سبق البحث فيها جمهور من العلماء المخلصين من السابقين والمعاصرين. فقديماً صنف جامعو الأحاديث النبوية الشريفة عدداً من الأحاديث والتوجيهات والخصال والشمائل النبوية، في كتب وأبواب خاصة، باسم العلم ومشتقاته. مثل باب ما جاء في طلب العلم في موطأ الإمام مالك (ت ١٧٩هـ)، وكتاب العلم في صحيح البخاري (ت ٢٥٦هـ) الذي حوى ثلاثة وخمسين باباً فرعياً. وكتاب العلم في صحيح مسلم (ت ٢٦١هـ) الذي حوى ستة أبواب فرعية.

وفي العصر الحديث اهتم عدد من الباحثين بالسمات والصفات التعليمية لشخصية الرسول ﷺ. فقد قدم الهاشمي (١٩٨٥) دراسة بعنوان الرسول العربي المربي، خلصت فصولها إلى تبيان عدة جوانب في المنهج التربوي للرسول المعلم ﷺ من خلال دراسة السيرة والسنة النبوية، وذلك بالنسبة لرعاية الطفولة وتربية المرأة واكتشاف المواهب وطرائق السؤال والمناقشة والقصة وحل المشكلات واستخدام الوسائل التعليمية. ومن الدراسات الأخرى التي تناولت الجوانب الشخصية للرسول ﷺ كمعلم دراسة أبو غدة (١٩٩٧) بعنوان «الرسول المعلم وأساليبه في التعليم»، التي جاءت في شطرين، الأول منها اختص ببيان شخصية الرسول ﷺ فيما يتعلق بمزاياه وتصرفاته الحكيمة، والشطر الثاني اختص بتبيان أساليبه ﷺ في التعليم وسديد إرشاداته وتوجيهه. نلاحظ أن كلتا الدراستين ركزت على شخصية الرسول ﷺ كمعلم، ولم تهتم بعناصر التعليم في تصميم المحتوى أو في الأنماط السلوكية التعليمية للرسول ﷺ. كما أن المصادر التي اعتمدت عليها شملت كتب السيرة بصورة خاصة، ولم تحلل الأحاديث النبوية الشريفة التي تمثل الميدان التعليمي لما تم تقديمه.

أما المتغيرات ذات الصلة بموضوع البحث مباشرة أي تلك المتعلقة

بعناصر الرسالة التعليمية في الخطاب النبوي، والميسرات التعليمية المتكاملة المضمنة في نصوص الحديث الشريف، فلم تتناولها إلا دراسة واحدة – في حدود علم الباحث – وهي دراسة عبدالله (١٩٨٧) وموضوعها هو الاهتداء ببعض سمات طرق التدريس التي استخدمها الرسول ﷺ لتطوير تدريس التربية الدينية الإسلامية. واستخدم فيها المنهج الوصفي التحليلي، على عينة من الأحاديث النبوية في صحيح البخاري، من بداية كتاب الإيمان إلى باب غسل المذي والوضوء منه، وتوصلت نتائجها إلى عدد من النقاط التي تمثل السمات العامة لطرق التدريس التي استخدمها الرسول ﷺ في عرض الأحاديث النبوية. ومنها الانطلاق من المجمل إلى تفصيله، جذب انتباه المتعلم ثم الشرح، الترغيب والتقريب، استثارة التفكير ثم التعليم، مراعاة مستوى المتعلمين، التعزيز والتشجيع، الموعظة، الإعادة والتكرار، ومراعاة البيئة وظروف المتعلم.

ولذلك نلاحظ ندرة الدراسات التي تناولت العناصر التعليمية بالمقارنة مع غيرها من الموضوعات الأخرى ذات الصلة بالتربية الإسلامية عامة أو النبوية خاصة. والتي يمكن أن نستخلص منها النماذج التطبيقية المباشرة للتربية النبوية بغية الاستفادة منها في الواقع التربوي المعاصر.

ومع سبق هذه الدراسة في هذا الموضوع إلا أن الباحث اقتصر نتائجه على سمات طرق التدريس فقط التي تم عرضها في صورة إشارات عامة بلغ عددها ٢٤، كما أن عينة الأحاديث التي اختارها للتحليل كانت صغيرة نسبياً.

مصطلحات البحث:

الخطاب النبوي اللفظي: هو ذلك الأسلوب الذي استخدمه الرسول الكريم ﷺ في تبيان الرسالة الإسلامية في جوانبها المختلفة، عبر أحاديثه النبوية اللفظية الشريفة.

الأحاديث النبوية اللفظية: ونعني بها الأحاديث التي ورد فيها نص لفظي للرسول الكريم ﷺ، وتشمل نوعين من الأحاديث النبوية هما:

النوع الأول: يكون نص الحديث الشريف فيه عبارة عن صورة لفظية خالصة من الرسول ﷺ، لمن يخاطب. وهذا النوع يخلو من الحوار والتساؤل. مثل قوله ﷺ: «يَسِّروا وَلا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلا تُنَفِّرُوا» (البخاري، كتاب العلم، ح ٦٩).

النوع الثاني: يكون الحديث عبارة عن حوار أو تساؤل بين الرسول ﷺ والمخاطبين. مثل قوله ﷺ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ، فَشَرِبْتُ منه، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب». قالوا فما أولته يا رسول الله؟ قال: «العلم» (البخاري، كتاب التعبير، ح ٧٠٣٢).

العناصر التعليمية: نعني بها كل المدخلات التعليمية اللفظية والحركية التي تساعد في تسهيل عملية التعلم؛ سواءً أكانت مضمّنة في نصوص الأحاديث، أو سلوكاً حركياً مصاحباً لتبليغ الأحاديث اللفظية، أو وسائل محسوسة تم استخدامها في التعليم اللفظي، أو شروطاً وظروفاً أخرى سعى الرسول الكريم ﷺ لإيجادها أو التوجيه إليها وكان لها دور في إحداث التعلم الفعال.

منهج البحث:

في ضوء المنهج الوصفي التحليلي استخدم الباحث أسلوب تحليل المحتوى على عينة من الأحاديث النبوية الصحيحة، وذلك لأن أسلوب تحليل المحتوى أكثر ملاءمة لطبيعة البحث الحالي، مقارنة بغيره من أساليب المنهج الوصفي الأخرى، بحيث يمكن الاستفادة من هذا الأسلوب - تحليل المحتوى - بصورة عامة في تحليل النصوص والرسائل اللفظية، واستنتاج وتحديد العناصر التي يهدف الباحث التحقق منها في أي دراسة (Shaughnessy & Zechmeister, 1994).

عينة البحث: بلغ عدد الأحاديث النبوية التي مثلت عينة البحث (١٤٥٧) سبع وخمسون وأربعمائة وألف حديث، وهي من الأحاديث النبوية الصحيحة المتفق عليها بين أكثر كتب الحديث اعتماداً؛ وهما صحيحا البخاري ومسلم، نسبة لإجماع الأمة عليهما، وقام الباحث بتحديدها وفقاً للخطوات التالية:

١ - حصر الباحث الأحاديث الشريفة المتفق عليها بين صحيحي البخاري ومسلم رحمهما الله باستخدام برنامج موسوعة الحديث الشريف على الحاسب الآلي[١].

٢ - تناول الأحاديث المحددة للدراسة حسب رواية البخاري؛ ما عدا حديثين أوردهما مسلم، واثنين انفرد بهما البخاري وحده.

٣ - بالنسبة للأحاديث المكررة في نصها أجرى الباحث التحليل على واحد منها وترك الأخريات المماثلة له في النص

٤ - استبعد الباحث الأحاديث التي لم يرد فيها نص من الرسول ﷺ والتي تصف آثار ومناقب الصحابة رضي الله عنهم. لأن التحليل يهدف إلى معرفة العناصر التعليمية في الحديث اللفظي للرسول ﷺ فقط.

٥ - صنف الباحث الأحاديث التي تم تحديدها إلى أحاديث لفظية وأخرى عملية، والأحاديث اللفظية هي التي بيّن فيها الرسول ﷺ رسالته لغوياً في كلمات أو إشارات مصاحبة للكلمات. أما الأحاديث العملية - حسب تصنيف الباحث - فترجع في صياغتها اللفظية للصحابة عندما يصفون فعلاً وعملاً للرسول ﷺ، مثل قول ابن عمر رضي الله عنهما: «أَهَلَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ اسْتَوَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ قَائِمَةً» (البخاري، كتاب الحج، ح ١٥٥٢).

٦ - قام الباحث بتحليل الأحاديث اللفظية فقط، نسبة لتمثيلها للخطاب اللفظي المباشر للنبي ﷺ.

إجراءات التحليل: حلل الباحث محتويات الأحاديث التي مثلت عينة الدراسة، ووحدة التحليل هنا تعتمد على المعنى الذي يُظهر العنصر التعليمي المعين. وقد يكون في أشكال لغوية مختلفة، كلمة أو جملة، أو عبارة. فالباحث وضع نصب عينيه التعرّف على أي لفظ يدل على نمط تعليمي معين، وصمم لذلك الغرض الجدول رقم (١).

---

(١) قرص مضغوط (CD) بعنوان: موسوعة الحديث الشريف، الإصدار الأول (١٠١) شركة صخر لبرامج الحاسب، الرياض، المملكة العربية السعودية، (١٩٩٦).

جدول رقم (١)

يمثل أداة تحليل المحتوى للأحاديث الشريفة

رقم الحديث	نمط المحتوى للحديث	كيفية الأداء اللفظي للحديث	السلوك الحركي أثناء الحديث	الوسائل المادية المستخدمة	الشروط التعليمية
يكتب فيه رقم الحديث حسب التسلسل المتبع في كتب الحديث	يكتب فيه طبيعة محتوى الحديث، مثل: القصة، الاستفهام، التحديد الرقمي، أم غير ذلك	يكتب فيه ما يتعلق بالتأدية اللفظية، مثل التكرار وغيره.	يكتب فيه نوع السلوك الحركي المصاحب لأداء الحديث، مثل الوضع الجسمي، الإشارات، وغيره.	يكتب فيه الأدوات المادية والعناصر الكونية والبشرية المستخدمة كوسائل مساعدة، مثل العصا، القمر، الشجر وغيره.	يكتب فيه الظروف والشروط المرتبطة بالحديث، مثل المعاملة الحسنة، مراعاة حالة المتعلمين وغيره.

نتائج البحث:

بعد إجراء الدراسة التحليلية للأحاديث النبوية الشريفة ذات النوع اللفظي للإجابة عن أسئلة البحث، تبين أنها تشمل عدداً من العناصر أو الميسّرات التعليمية التي يسرت عمليات اكتسابها وتعلمها. والجدول رقم (٢) يوضح تلك العناصر ومحتوياتها بصورة مجملة:

جدول رقم (٢)

يوضح العناصر التعليمية ومحتوياتها من خلال الأحاديث النبوية اللفظية

م	العنصر	محتوياته
١	النمط التعليمي للمحتوى اللفظي للأحاديث	١ - الأمثال ٢ - القصة التعليمية ٣ - الاستفهام ٤ - التحديد الرقمي ٥ - الاقتباس البليغ ٦ - اللفظ المباشر
٢	كيفية الأداء اللفظي للأحاديث	١ - التكرار ٢ - النداء ٣ - الصمت وتغيير نبرات الصوت ٤ - التفاعل اللفظي مع المعلمين
٣	السلوك الحركي والوضع الجسمي أثناء الحديث	١ - التعبير بالوجه ٢ - التبسم والضحك ٣ - البكاء وحركة العيون ٤ - الإشارة اليدوية ٥ - تعديل وضع الجسم ٦ - التمثل الانفعالي للموقف.
٤	الوسائل المادية المستخدمة مع الحديث اللفظي	١ - الكتابة ٢ - الرسم ٣ - العينات المادية ٤ - أدوات للفت الانتباه ٥ - المشاهد الحية ٦ - العناصر الكونية المعروفة
٥	الشروط التعليمية المرتبطة بالحديث اللفظي	١ - شخصية المتحدث ٢ - الوضع المكاني ٣ - التنظيم الزمني ٤ - الهدوء ٥ - إسماع الصوت للمتلقين ٦ - التسلسل في القول ٧ - الاختصار - ٨ - الأمن والحب للمتعلمين ٩ - الحرية للمتعلمين في تفاعلهم اللفظي ١٠ - الاتصال البصري ١١ - تفقد المتعلمين ١٢ - الإجابة على قدر السؤال ١٣ - اللطف مع المخطئين ١٤ - المراجعة والتقويم.

وفيما يلي تفاصيل النتائج المجملة في الجدول رقم (٢) للإجابة عن أسئلة البحث لتوضيح عناصر الرسالة التعليمية ومحتوياتها في الخطاب النبوي اللفظي من خلال دراسة الأحاديث النبوية الشريفة.

نتيجة السؤال الأول: ما الأنماط التعليمية للمحتوى اللفظي للأحاديث النبوية الشريفة؟

أوضحت النتائج التحليلية أن المحتوى اللفظي للأحاديث النبوية تضمن أنماطاً تعليمية متنوعة شملت: الأمثال، القصص التعليمية، الاستفهام، التحديد الرقمي، الاقتباس البليغ، واللفظ المباشر. ويأتي تفصيل ذلك فيما يلي:

١ - الأمثال التعليمية في الأحاديث النبوية:

المثل والتمثيل في اللغة يعني التشبيه. فقد أوضح الفياض (١٩٩٥) أن اللغويين قديمهم وحديثهم - كانوا قد أجمعوا - أو كادوا على أن المثل يعني الشبه.

والمثل التعليمي هو وسيلة تعليمية لفظية توضح المعلومات والأفكار غير المشاهدة، وغير المحسوسة بصورة مشابهة لها من البيئة المعلومة والمحيطة بالمتعلم. وقد أشار الهاشمي (١٩٨٥) إلى أن التمثيل وسيلة تربوية تعليمية لتقريب ما كان بعيداً، وإيضاح ما كان غامضاً. فالتمثيل يساعدنا على تقديم الأفكار المجردة بصورة محسوسة ملموسة يعرفها كل الناس أو أكثرهم على أقل تقدير.

وقد تضمنت الأحاديث النبوية اللفظية في محتواها أمثالاً كثيرة، وأفرد لها بعض العلماء أسفاراً خاصة، وليس هذا بغريب فقد قال عَمْرو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه: «عَقَلْتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَلْفَ مَثَلٍ» (ابن حنبل، مسند الشاميين، ح ١٧٣٥٠) وقد أدت الأمثال التي حوتها نصوص الأحاديث وظائف تربوية متعددة نوضحها فيما يلي:

أ - **تمثيل الموضوع المجرد بموضوع محسوس:** قربت الأمثال التي وردت في الأحاديث النبوية المعاني المجردة بتمثيل موضوعي محسوس يستطيع أن

يدركه الأفراد على مختلف مستوياتهم العقلية. عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: إِنَّ الْمُؤمِنَ لِلْمؤْمِنِ كَالبُنْيَانِ، يَشُدُ بَعْضُهُ بَعْضاً» وَشَبَّكَ ﷺ أَصَابِعَهُ (البخاري، كتاب الصلاة، ح ٤٨١). التماسك الاجتماعي مفهوم مجرد، يتحقق بأنواع مختلفة من السلوك الإنساني، ولكن البنيان شيء محسوس، بتراكبه وتداخله، وتماسكه، وكل الناس يعرف هذا لحاجتهم للسكن والحماية. وهذا التمثيل الحسي المباشر للموضوعات والخبرات المجردة يجد قبولاً عند المتعلم، لأنه يناسب الطبيعة البشرية، التي تستقبل معظم المعارف عن طريق الحواس المعلومة.

ب - **تمثيل الموضوع الغائب بالحاضر والبعيد بالقريب**: إدراك الإنسان للأشياء البعيدة والغائبة بصورة مباشرة يكون ضعيفاً نسبة لعدم وجود المحددات المادية المباشرة التي تدله على ذلك، نتيجة لسيطرة الإدراك الحسّي على الاكتساب المعرفي لكثير من الناس، ولهذا استخدم النبي ﷺ الأمثال المادية المحسوسة القريبة من الناس لبيان المعاني المستقبلية والبعيدة نوعاً ما عن الواقع اليومي لحياتهم مما سهل عليهم إدراك تلك المفاهيم وتصديقها. عَنِ النبي ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيدِهِ، لأَذُودَنَّ رجَالاً عَنْ حَوْضِي، كَمَا تُذَادُ الْغَرِيبَةُ مِنَ الإِبِلِ عَنِ الْحَوْضِ» (البخاري، كتاب المساقاة، ح ٢٣٦٧)، ذلك أن صاحب الإبل الذي يمتلك حوضاً أو منبعاً للماء فإنه يحميه حماية شديدة لتشربه إبله فقط، ولا يتيح للإبل الغريبة أن تنال منه شيئاً، ويتضح هذا أكثر في بيئة الصحراء حيث تعيش الإبل عادة، وتقل وتشح المياه كثيراً. وهذا يقرّب المعنى الذي بموجبه يسرع الناس في الانتماء إلى المجموعة التي لا يذودها الرسول ﷺ عن حوضه، وإنما يحفظه لها عن دونها. فالحوض المعني هنا يكون في الآخرة، والتشبيه له كان بصورة حاضرة الآن. لأن هناك علاقة كبيرة بين الوسيلة وبين قدرات الفرد على الإدراك الحسي.

ج - **التمثيل بالأشياء المعلومة للجميع**: العناصر الممثل بها الواردة في الأحاديث النبوية الشريفة تم انتقاؤها بدقة بحيث لا تكون هي مصدر

تشتيت للانتباه، وتكون بحاجة إلى توضيح وتبيين، ومنها: العناصر الكونية المعلومة لدى جميع البشر. مثل الشمس والقمر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ النَّاس قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى ربَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُمَارُون فِي الْقَمَرِ لِيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ حجاب؟» قَالُوا: لا يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «فَهَلْ تُمَارُون فِي الشَّمسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لا، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ...» (البخاري، كتاب الأذان، ح ٨٠٦).

د - **براعة التمثيل والتشبيه**: جاءت الأمثال في الأحاديث النبوية دقيقة بارعة في التمثيل والتشبيه، في سكونها وحركتها، صغر حجم موضوعاتها وكبره، أو تبيينها للصورة بكامل هيئتها. وأيضاً غنية بالمحسوسات من العناصر الكونية المختلفة، نابعة من حياة الناس وحاجاتهم. كما في هذا الحديث، قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ صاحب الإبل المعلقةِ: إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت» (البخاري، كتاب فضائل القرآن، ح ٥٠٣١). هذا الحديث يوضح تمثيلاً لعملية معرفية داخلية مرتبطة باختزان المعلومات واسترجاعها، وكيفية الحفاظ عليها، بلا أمر أو نهي مباشر، ولكن التمثيل الحي الجميل، يدفع الناس للحفاظ على ما يريدون حفظه من القرآن بالذكر، والتلاوة والمعاهدة.

هـ - **الصور المقارنة في التمثيل**: وردت الأمثال في الأحاديث النبوية لتبيين جانبي الصورة للمقارنة ولزيادة التوضيح، ولتبيين نهاية فعل الخير ونهاية فعل الشر، وكأنما يشاهد الإنسان تلك الصور في لوحة واحدة ويقارن بينها، ولذلك يكاد الفرد أن يرى صورتين، متباينتين تماماً، بينهما فرق كبيراً جداً، عن النبي ﷺ قال: «مثل الجليس الصالح والسوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة. ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثة» (البخاري، كتاب الذبائح والصيد، ح ٥٥٣٤).

و - صور التمثيل محددة: إذا نظرنا إلى الأمثال التعليمية في الأحاديث النبوية

نلاحظ أنها عبارة عن مشاهد بصرية غنية بالحركة والصور، مما تحتويه من محتوى بيئة الناس ومفردات الكونيات التي حولهم، وذلك في ترابط وتناسق يجعل منها لوحات بصرية في عبارات لفظية، ولكن في نفس الوقت نلاحظ في تلك اللوحات، التي تشمل عدداً من الصور المعبرة عن مفهوم معين، أنها تمتاز بعدم التعدد، وعدم التداخل، بمعنى أن معظم الصور والعناصر الممثل بها تكون محدودة، فَعن النبي ﷺ قال: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كالاترجة، طعمها طيب وريحها طيب، والذي لا يقرأ كالتمرة، طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر. ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، طعمها مر ولا ريح لها» (البخاري، كتاب التوحيد، ح ٧٥٦٠).

ز - **ألفاظ التمثيل مختصرة:** وردت الأمثال التعليمية في الأحاديث النبوية بألفاظ محدودة، غير طويلة، سواء المشبه أو المشبه به، مختصرة في عباراتها، حاملة لمفاهيم عظيمة، مما ساعد على حفظ ألفاظها وإدراك معانيها، فعن النبي ﷺ: «مثل المؤمن كالخامة من الزرع، تفيئها الريح مرة، وتعدلها مرة، ومثل المنافق كالأرزة، لا تزال حتى يكون انجعَافها مرة واحدة» (البخاري، كتاب المرضى، ح ٥٦٤٣).

٣ - القصة التعليمية في الأحاديث اللفظية:

تعرف القصة بأنها «تعبير شفوي أو كتابي، أو تمثيلي مسرحي، يتضمن أشخاصاً وأشياء وحوادث تجري في حدود الزمان وخلال أبعاد المكان، مع عوامل البيئة بأنواعها» (الهاشمي، ١٩٨٥، : ٢٤٦).

واعتماداً على هذا التعريف نرى أن القصة التعليمية عبارة عن وسيلة تعبيرية مضمنة في نصوص المحتوى التعليمي، وتقدم بطريقة شفوية أو مكتوبة أو ممثلة، وتتسم بالواقعية، وتتضمن بعض الأفراد من البشر. أو الحيوانات أو النباتات، وتهدف إلى إكساب خبرات إيجابية، بصورة إيحائية غير مباشرة. وتميزت القصص الواردة في نصوص الأحاديث النبوية بما يلي:

أ - **وضوح الموضوع والهدف**: وردت القصة في الأحاديث النبوية الشريفة بلا غموض أو إبهام، وإنما موضوعها بيّن لا لبس فيه، وكذلك هدفها يدركه المستمع بصورة سهلة ومباشرة، عن النبي ﷺ قال: «كان تاجر يداين الناس، فإذا رأى معسرا قال لفتيانه: تجاوزوا عنه، لعل الله أن يتجاوز عنا، فتجاوز الله عنه» (البخاري، كتاب البيوع، ح ٢٠٧٨)، يبدو من هذا الحديث أن الهدف الذي ترمي إليه هذه القصة واضح جداً، وهو إمهال المعسرين، الذين لا يستطيعون تسديد ما عليهم من ديون.

ب - **قلة عدد العناصر الممثلة للقصة**: امتازت القصص الواردة في الأحاديث النبوية بقلة عدد العناصر التي تدور حولها القصة، وساعد هذا على أن لا تكون تلك العناصر من الكثرة بحيث تصرف المستمع عن مضمون ومحتوى وهدف النص. ولذلك نجد من القصص التي فيها شخص واحد، قال النبي ﷺ : «بينما رجل يمشي في حلة، تعجبه نفسه، مرجل جمته، إذ خسف الله به، فهو يتجلجل إلى يوم القيامة» (البخاري، كتاب اللباس، ج ٥٧٨٩).

ج - **تتسم بالواقعية والموضوعية**: «القصص النبوية تعتمد على حقائق ثابتة، وقعت في غابر الزمن، وهي بعيدة عن الخرافة والأساطير (سويد، ١٩٩٤: ٣٢٩). ونلاحظ أن بعضها يتناول موضوعات تتعلق ببعض المفاهيم أو الشخصيات التي يريد كثير من الناس معرفة أخبارها، مثل قصص الأنبياء، أو أحداث الأمم السابقة. ولذلك يمكن أن نقول أن كثرة ورود قصص بعض الأفراد أو الأمم يشبع أو يلبي حاجات المتعلمين الحقيقية لمعرفة مزيد من الحقائق والمعلومات عن تلك الموضوعات.

د - **عناصرها البشرية والبيئية معلومة لدى الجميع**: مما يساعد على التعلم باستخدام الوسائل المختلفة، أن لا تكون الوسيلة التعليمية نفسها محتاجة إلى توضيح وشرح، وقد توافرت هذه الميزة في القصص النبوية، حيث

وردت فيها عناصر معلومة لدى جميع المخاطبين بها، مثل: الأنبياء والرسل، والملائكة، والأفراد العاديين. وكذلك الحيوانات الأكثر انتشاراً مثل: الكلب، كقول النبي ﷺ: «بينما رجل يمشي، اشتد عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها، فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي، فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه، فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له». قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجرا؟ فقال: «نعم في كل ذات كبدٍ رطبة أجر» (البخاري، كتاب الأدب، ح ٦٠٠٩).

هـ - **عرضها خالي من التفاصيل المملة والرتيبة**: القصص التي وردت في الأحاديث النبوية امتازت بخلوها من التفاصيل الكثيرة التي تشتت انتباه المستمع، وتصرفه عن هدف ومحتوى القصة، ولذلك نلاحظ عدم تركيزها على المكان وأشيائه أو الزمان وتفاصيله، وسمات عناصرها وتشخيصها، وإنما يظهر فيها إبراز المفهوم العام المراد توصيله له. عن النبي ﷺ قال: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض» (البخاري، كتاب بدء الخلق، ح ٣٣١٨).

و - **نهايتها واضحة**: القصص التي في الأحاديث النبوية الشريفة امتازت بوضوح النتائج والنهايات التي توصلت إليها، وتناسب تلك النهايات والنتائج مع أحداث القصة السابقة، ومع موضوعها العام. وأوضح الزنتاني (١٩٨٤) أن نتائج القصص لها تأثير بليغ، لأنها تمثل الهدف الذي يرجوه الفرد المتابع لأحداث القصة، وتمثل النهاية الحتمية التي يرسمها والتي تتوافق مع سلوك عناصر القصة من حيث الخير أو الشر. وهذا يجعل منها وسيلة سهلة فعالة شديدة الأثر في التبليغ.

ز - **استخدم فيها التوجيه غير المباشر**: القصص التي في الأحاديث النبوية الشريفة ساعدت بدرجة كبيرة في توصيل كثير من المفاهيم والقيم المجردة. وذلك في تمثلها للأسلوب المحسوس ولتوجيهها إلى كثير من

القيم التربوية الحميدة المضمنة في كثير منها، بصورة غير مباشرة، تجعل المتلقي يتقمص بعض شخصياتها، فيحس بإحساسها، ويستشعر انفعالاتها، ويرتبط نفسياً بالمواقف التي تواجهها، وهذا مما يثير فيه النوازع الخيرة لا شعورياً وينعكس في سلوكه وتصرفاته، كقول النبي ﷺ: «بينما رجل يمشي بطريق، وجد غصن شوك على الطريق فأخذه، فشكر الله له فغفر له» (البخاري، كتاب المظالم، ح ٢٤٧٢).

ح - **فيها راحة وإشباع للحاجات النفسية**: تتجاوز القصة بالمستمعين أو القراء الحدود الزمانية أو المكانية، لتنقلهم للماضي، أو تحلق بهم في المستقبل، أو تجعلهم يعيشون مع أمثالهم في أماكن أخرى، ونلاحظ أن القصص الواردة في الأحاديث النبوية، تتوافر فيها المعلومة الحقيقية، تاريخية كانت أو تنبؤاً مستقبلياً، مثل أحداث الحشر أو الجنة والنار، وفيها راحة نفسية للمؤمن وللصابر لاطمئنانه لسعادة مآل المخلصين، مما يجلب له الفرح، ويدعم تمسكه بمبدئه، والصبر على إيمانه. وفيها إنذار للمذنب المجرم، لأنها تمثل له بصورة محسوسة مستقبل ومآل الكافرين المجرمين، ومما يبشر المؤمنين مثلاً نهاية هذه القصة من حديث رسول الله ﷺ: «... وكان جريج في صومعته، فقالت امرأة: لأفتنن جريجاً، فتعرضت له، فكلمته فأبى فأتت راعيا فأمكنته من نفسها، فولدت غلاماً فقالت: هو من جريج، فأتوه وكسروا صومعته فأنزلوه وسبّوه، فتوضأ وصلى، ثم أتى الغلام فقال: من أبوك يا غلام؟ قال: الراعي...» (البخاري، كتاب المظالم، ح ٢٤٨٢).

ط - **القصص النبوي فيه تشويق للمتابعة**: «الأسلوب القصصي يجذب النفس ويسهل تقبل الأفكار ما دامت متجسدة بأشخاص وأحداث ومغامرات» (الهاشمي، ١٩٨٥، ٢٦٠)، وبعض القصص في الأحاديث النبوية الشريفة فيها عرض للأحداث بصورة جذابة مشوقة تدفع وتشوّق المستمع والقارىء لمتابعتها. مثل قصة النفر الثلاث[٢] الذين كانوا في

(٢) انظر: البخاري، كتاب البيوع، حديث رقم، ٢٢١٥.

سفر ودخلوا غاراً، فسقطت صخرة فأغلقته عليهم، فلم يجدوا بداً من فتحها، إلا أن يتوسلوا بأعمالهم الصالحة، التي تم عرضها بصورة مشوقة جذابة، تدفع من يستمع إليها أن يبادر لفعل الخير.

٣ - الاستفهام:

الاستفهام نقصد به الصيغة اللفظية التساؤلية في نصوص الحديث النبوي، أو الجمل والعبارات التي أورد فيها الرسول ﷺ أدوات الاستفهام المختلفة. ووردت هذه الصيغة الاستفهامية التساؤلية بعدة صور:

أ - التساؤل المرتبط بالبيئة: وردت أحاديث كثيرة ذات نمط لفظي تساؤلي موجه للصحابة، يسألهم فيه الرسول ﷺ عن بعض عناصر البيئة والكون، رابطاً ذلك بحال المؤمن، وهذا النمط فيه فسحة من الحرية للحاضرين عليهم أن يجيبوا بما يرون، كل حسب قدراته، حتى الصغير لا يمنع من ذلك، مما يشجع الجميع على إبداء الرأي والمشاركة والتفاعل التعليمي الحقيقي، عن عبدالله بن عمر أن رسول الله قال: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وهي مثل المسلم، حدثوني ما هي؟» فوقع الناس في شجر البادية، ووقع في نفسي أنها النخلة، قال عبدالله: فاستحييت، فقالوا يا رسول الله، أخبرنا بها، فقال رسول الله ﷺ: «هي النخلة» (البخاري، كتاب العلم، ح ١٣١).

ب - **التساؤل التوضيحي**: حيث يسأل الرسول ﷺ الصحابة عن ما لا يعلمون، ليلفت انتباههم للإجابة، ويزيدهم دافعية وتشوقاً لانتظارها. ثم تأتي الإجابة لاحقاً، على خطوات مرتبة منظمة، ومثال ذلك سؤال الرسول الله ﷺ لمعاذ رضي الله عنه، «يا معاذ هل تدري حق الله على عباده؟ وما حق العباد على الله؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن حق الله على العباد أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً» فقلت: يا رسول الله، أفلا أبشر

به الناس؟ قال: «لا تبشرهم فيتكلوا» (البخاري، كتاب الجهاد والسير، ح ٢٨٥٦).

ج - **التساؤل التفقدي**: وهذا النمط يكون للفرد أو الجماعة، للذكر أو الأنثى، يسألهم عن حالهم أو فعلهم دالاً على ارتباط المعلم بالمتعلمين. متفقداً لهم موضحاً لهم الأحكام والمعاني، فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ لقيه في بعض طريق المدينة وهو جنب، فانخنست منه، فذهب فاغتسل ثم جاء، فقال: «أين كنت يا أبا هريرة». قال: كنت جنبا، فكرهت أن أجالسك وأنا على غير طهارة، فقال: «سبحان الله إن المسلم لا ينجس» (البخاري، كتاب الغسل، ح ٢٨٣).

د - **الصيغة الداعية لتساؤل المتعلمين**: وردت بعض الأحاديث النبوية بصيغة لفظية قائدة لتساؤل موضوعي من الصحابة، وذلك حين يذكر الرسول ﷺ شيئاً مجملاً، بصيغة تدفع الصحابة وتحثهم وتثير فيهم حسب المعرفة التفصيلية لذلك المجمل، عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات». قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات» (البخاري، كتاب الوصايا، ح ٢٧٦٦).

وهناك صيغة أخرى تدعو لتساؤل المتعلمين، وذلك عندما يذكر الرسول ﷺ، شيئاً يمكن أن يقع في مستقبل الأيام، فيتشوق الصحابة لمعرفة ما يؤدي لذلك، وعن الاحتياطات اللازمة لمواجهته، وبالتالي يسألون عن ذلك، عن النبي قال: «ستكون أثرةٌ وأمور تنكرونها». قالوا: يا رسول الله، فما تأمرنا؟ قال: «تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم» (البخاري، كتاب المناقب، ح ٣٦٠٣).

هـ - **الاستفهام في الإجابة**: ظهرت الصيغة الاستفهامية أيضاً في إجابات الرسول ﷺ عن أسئلة الصحابة، مما أتاح لهم سعة وحرية للتفكير

الذاتي المستقل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن سائلا سأل رسول الله ﷺ، عن الصلاة في ثوب واحد، فقال رسول الله ﷺ: «أو لكلكم ثوبان؟» (البخاري، كتاب الصلاة، ح ٣٥٨).

٤ - التحديد الرقمي:

التحديد الرقمي الذي نقصده هنا: أن يتم ذكر الموضوعات أو المفاهيم المقصودة في عبارات يتم تحديدها بتسلسل رقمي. كأن تقول: أن الموضوع يتكون من ثلاث نقاط، الأولى كذا والثانية كذا والثالثة كذا. ووجد الباحث، أن هناك بعض الأحاديث النبوية، حملت في نصوصها تحديداً رقمياً، وأهم ما يميز تلك الأحاديث ما يلي:

أ - التحديد الرقمي الإجمالي أولاً، ثم التفصيل: هذا النوع من الأحاديث يتم فيه ذكر المجموع الكلي لعدد الخطوات التالية أولاً، ثم تأتي تفصيلات تلك الخطوات بطريقة متتابعة بعد ذلك. قال رسول الله ﷺ «يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى معه واحد: يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله ويبقى عمله» (البخاري، كتاب الرقاق، ح ٦٥١٤).

ب - **التحديد الداعي للسؤال:** هذا النوع يذكر فيه الرسول ﷺ مفهوماً محدداً بأرقام في بداية حديثة، مثلاً: اجتنبوا السبع الموبقات، يعني أن هناك موبقات وعددهن سبع، ولكن لا يذكرهن في البداية، وهذا بالضرورة يستدعي تساؤلاً من المستمعين، عن ماهية هذه الأشياء المحددة، ثم يذكرهن الرسول ﷺ، قال النبي ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات». قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات» (البخاري، كتاب الحدود، ح ٦٨٥٧).

ج - **الأرقام من اثنين إلى سبع:** تراوحت الأرقام المذكورة في الأحاديث النبوية

من اثنين في الحد الأدنى إلى سبع في الحد الأعلى. ومن الأحاديث التي اقتصر التحديد الرقمي فيها على اثنين: قول الرسول ﷺ: «يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنان: حب المال وطول العمر». (البخاري، كتاب الرقاق، ح٦٤٢١). ومن الأحاديث التي وصل التحديد الرقمي فيها إلى سبعة، هذا الحديث: عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليهم وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال، فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق، أخفى حتى لا تعلم ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا، ففاضت عيناه» (البخاري، كتاب الأذان، ح ٦٦٠).

٥ - الاقتباس البليغ:

يحتوي أو يتضمن نص كثير من الأحاديث النبوية استشهاداً بآيات قرآنية، أو اقتباساً من الصادق من الشعر، أو الحكم السائدة. وذلك كما يلي:

أ - **الاقتباس القرآني:** حوت بعض الأحاديث آيات مقتبسة من القرآن الكريم، وذلك إما أن يفسر ويوضح الرسول الكريم ﷺ معنى آية معينة، أو أن يستشهد بآية لتدعيم قوله، قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته» ثم قرأ: «وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد». (البخاري، كتاب التفسير، ح ٤٦٨٦ والآية رقم ١٠٢ في سورة هود). وكما هو معلوم فإن بلاغة القرآن وطلاوته تجذب المستمعين، وترقق قلوبهم.

ب - **الاقتباس من الشعر:** اقتبس النبي ﷺ بعض الأبيات من الصادق البليغ من أشعار العرب، حيث أن الشعر كان هو اللسان الإعلامي الذي يصفون به واقع حالهم، ويوثقون به أحداثهم. ومن أمثلة الاقتباس الشعري في الأحاديث قول النبي ﷺ: «أصدق كلمة قالها الشاعر،

كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل...» (البخاري، كتاب مناقب الأنصار، ح ٣٨٤١).

وفي أحيان أخرى يذكر الرسول ﷺ الحديث في لغة شعرية موزونة، أي أنه يقتبس وزن صياغة وقواف الشعر، ومن أمثلة ذلك، أن رسول الله ﷺ كان في بعض المشاهد وقد دميت إصبعه فقال: «هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت» (البخاري، كتاب الجهاد والسير، ح ٢٨٠٢).

٦ - اللفظ المباشر:

النمط التعليمي في محتوى الحديث يأتي أحياناً بصورة لفظية مباشرة. بمعنى أن يكون محتوى الحديث في صورة تقريرية مختصرة، أي خالية من الأمثال والقصص والاستفهام والتساؤل والتحديد الرقمي والاقتباس، وذلك مثل قول النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل إمرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه». (البخاري، كتاب بدء الوحي، ح ١)، وقوله ﷺ: «الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله» (البخاري، كتاب مناقب الأنصار، ح ٣٧٨٣)، وأنَّ رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته» (البخاري، كتاب الإكراه، ح ٦٩٥١).

نتيجة السؤال الثاني: كيف أدى الرسول ﷺ الأحاديث لفظياً؟

الأداء اللفظي نعني به الطريقة الشفهية الخالصة التي عرض بها النبي ﷺ الأحاديث اللفظية، حيث لم يكن عرضه لها سرداً عادياً، والذي يوضح ذلك عدم رضا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن أسلوب المحدثين من بعد رسول الله ﷺ، عن عائشة رضي الله عنها: «.... إن رسول الله ﷺ لم يكن يسرد الحديث كسردكم» (البخاري، كتاب المناقب، ح ٣٥٦٨)، ولكن امتاز الأداء اللفظي للرسول ﷺ بميزات تعليمية كثيرة ساعدت في توصيل تلك الرسالة الكبيرة، ومنها:

١ - التكرار:

إن الرسول ﷺ كان يذكر القول اللفظي مكرراً، عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ «أنه كان إذا سلم سلمَ ثلاثاً وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً». (البخاري، كتاب العلم، ح ٩٤). هذا القول يبين أن التكرار للأحاديث كان ثلاث مرات، ونلاحظ كذلك استخدام النبي ﷺ للتكرار المستمر لفترة طويلة تتناسب وأهمية الموضوع المذكور، قال النبي ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر». ثلاثاً، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين - وجلس وكان متكئا، فقال - ألا وقول الزور». قال: فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت (البخاري، كتاب الشهادات، ح ٢٦٥٤).

٢ - النداء:

استخدم الرسول ﷺ النداء مرة واحدة أو تكراراً، سواءً كان النداء للجميع أو للقلة، وللعشيرة أو للفرد، للطفل أو للراشد، للرجل أو للمرأة. وتم استخدام النداء بصورة مقصودة وموجهة مباشرة إلى المنادى، قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله عز وجل: ﴿**وانذر عشيرتك الأقربين**﴾ (الشعراء: ٢١٤). قال: يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئا، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئاً». (البخاري، كتاب الوصايا، ح ٢٧٥٣). وقد استخدم الرسول ﷺ النداء في حديثه بصور مختلفة، إما نداء مسمى لفرد معين، محدداً اسمه، أو بلفظ أكثر تعميماً، مثل «يا غلام» أو تعميماً جماعياً مثل «أيها الناس».

٣ - الصمت وتغيير نبرات الصوت:

كما ذكرت السيدة عائشة رضي الله عنها فإن الرسول الكريم ﷺ لم يكن يسرد الحديث سرداً عادياً، ولكنه يستخدم مهارات خطابية متنوعة في أدائه اللفظي، ومن تلك المهارات الصمت أثناء الحديث أو تغيير نبرات الصوت علواً

وخفضاً، وذلك للفصل بين الموضوعات، وشد الانتباه: قال رسول الله ﷺ: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه، فهدانا الله، فغدا لليهود، وبعد غد للنصارى». فسكت. ثم قال: «حق على كل مسلم، أن يغتسل في كل سبعة أيام يوماً، يغسل فيه رأسه وجسده» (البخاري، كتاب الجمعة، ح ٨٩٦ و٨٩٧).

٤ - التفاعل اللفظي مع المتعلمين:

التفاعل اللفظي هو جزء من التفاعل التربوي، حيث أن «التفاعل التربوي هو حدوث اقتناع وتجاوب نفسي بين طرفي العملية التربوية (المعلم والمتعلم) يؤدي لاستجابة الطرف الثاني المعرفية والسلوكية للطرف الأول وللتأثر به»؛ (النغيمشي ١٩٩٥، ٢٥٣). ويتضح هذا من الأحاديث التي يتبين فيها أن النبي ﷺ لم يكن دائماً شخصاً واقفاً يتكلم بلا انقطاع، وإنما تنوع أسلوبه في تفاعله اللفظي مع الصحابة، بعدة طرق منها:

أ - **تأكيد ملاحظات المتعلمين:** إن الرسول ﷺ لم يكن منفصلاً عن صحابته، حيث يظهر ذلك في متابعاته وملاحظاته الدقيقة لما يبدر منهم من قول، أو فعل، يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: «مروا بجنازة فأثنوا عليها خيراً، فقال النبي ﷺ: «وجبت». ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرا، فقال: «وجبت». فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما وجبت؟ قال: «هذا أثنيتم عليه خيراً، فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شرا، فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض» (البخاري، كتاب الجنائز، ح ١٣٦٧).

ب - **التفاعل الاستفساري:** إن الرسول ﷺ كان يقول مجملاً من القول يفهمه المتفوق بسرعة شديدة، ولا يمل منه المستعجل المشغول. ولكنه يفتح صدره، ويوفر الأمن والحرية، لمن يريد أن يستفسر عن التفصيلات الموضحة لذلك المجمل من القول، في تسلسل حواري ممتع. وهذا يدل

على سعي المعلم المربي للتأكد من تفاعل المتعلمين مع قوله، ويتمثل ذلك في تقبلهم للحقيقة الموضحة، وطلبهم للمزيد من التوضيح بالاستفسار الإيجابي، عن النبي ﷺ قال: «على كل مسلم صدقةٌ». فقالوا: يا نبي الله، فمن لم يجد؟ قال: «يعمل بيده، فينفع نفسه ويتصدق». قالوا: فإن لم يجد؟ قال: «يعين ذا الحاجة الملهوف». قالوا فإن لم يجد؟ قال «فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر فإنها له صدقة» (البخاري، كتاب الزكاة، ح ١٤٤٥).

ج - **التدرج في التفاعل اللفظي**: أحياناً يسأل الصحابة رسولهم ﷺ عن موضوع معين فيجيبهم بأفضل القول بتدرج وتعميم، ولكنهم يؤكدون أنهم يعرفون هذه الخطوة أو الإجابة العامة ولكنهم يريدون تخصيصاً وتفصيلاً، ولذلك يجيبهم عن سؤالهم بعد أن يكون قد أوضح لهم الكليات والجزئيات بخطوات مرتبة فيها تفاعل إيجابي ثرى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: قيل: يا رسول الله، من أكرم الناس؟ قال: «أتقاهم». فقالوا ليس عن هذا نسألك، قال: «فيوسف نبي الله، ابن نبي الله ابن نبي الله، ابن خليل الله». قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «فعن معادن العرب تسألون؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام، إذا فقهوا» (البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، ح ٣٣٥٣).

و - **التفاعل اللفظي مع الأطفال**: كان الرسول ﷺ يخالط الأطفال، ويسألهم عن أشيائهم الخاصة، يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: إن كان النبي ﷺ ليخالطنا، حتى يقول لأخٍ لي صغير: «يا أبا عميّر ما فعل النغيّر» (البخاري، كتاب الأدب، ح ٦١٢٩). إن تعليم الأطفال يتطلب مهارات معينة تناسب مستوى النمو العقلي المعرفي والانفعالي والحركي والاجتماعي لهم، ولذلك كان النبي ﷺ يتفاعل مع الأطفال لفظياً وحركياً، قولاً وفعلاً، ملبياً حاجاتهم ومخاطباً لهم بما يناسب مستوى نموهم واهتماماتهم، وفوق هذا وذاك موفراً لهم أمنا وحرية في لعبهم وحياتهم.

نتيجة السؤال الثالث: ما السلوك الحركي والوضع الجسمي للرسول ﷺ أثناء الحديث اللفظي:

السلوك الحركي والوضع الجسمي أثناء الحديث اللفظي نعني به التعبير غير الشفهي، المدعم بالحركات الجسمية المختلفة تفاعلاً مع الموقف، أو توضيحاً للحالة الانفعالية للموقف أو زيادة في توضيح المحتوى المعرفي المقصود، وبعد تحليل الأحاديث الممثلة لعينة الدراسة، اتضح أن السلوك الحركي للرسول ﷺ أثناء الحديث شمل النماذج التالية:

١ - التعبير بالوجه:

إن الرسول ﷺ كان ينفعل بما يقول فيظهر ذلك في وجهه الشريف: عن أبي سعيد الخدري قال: «كان النبي ﷺ أشدَّ حياء من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه» (البخاري، كتاب الأدب، ح ٦١٠٢٢). فهذا يدل على استخدام الوجه للتفاعل مع الموقف بما يلزم ذلك، إن كان فرحاً يظهر السرور والبشر وغيرها من علامات الانفعال السار، وإن كان غير ذلك ظهر ما يدل عليه، وهذا يساعد في اختصار الوقت واللفظ، ويسّر تبليغ الرسالة اللفظية، لأنه يشرك حواس أخرى، ويشد الانتباه.

٣ - التبسم والضحك:

من السلوك الحركي المصاحب لأداء الأحاديث النبوية اللفظية التبسم والضحك، الدال على الرضا، والدليل على ذلك هذا الحديث، أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: «بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ، إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله هلكت، قال: «مالك». قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم. فقال رسول الله ﷺ: «هل تجد رقبة تعتقها». قال: لا. قال: «فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين». قال: لا. فقال: «فهل تجد إطعام ستين مسكينا». قال: لا. قال: فمكث النبي ﷺ. فبينما نحن على ذلك أتي النبي ﷺ بعرق فيها تمر، والعرق المكتل، قال: «أين السائل». فقال: أنا. قال: «خذها فتصدق به». فقال الرجل: أعلى أفقر مني يا رسول الله؟ فوالله ما بين لابتيها، يريد

الحرتين، أهل بيت أفقر من أهل بيتي. فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه ثم قال: «أطعمه أهلك» (البخاري، كتاب الصوم، ح ١٩٣٦). فالتبسّم والضحك يعتبر سلوكاً حركياً مدعماً للرسالة اللفظية، بدلالته على الرضا التام.

٣ - البكاء وحركة العيون:

من أنماط التفاعل الحركي البكاء والتعبير بالعيون نتيجة للتأثر بالقول أو الموقف المعين، والذي قَلّ أن نجده عند معلم أو داعية اليوم، ومن المعلوم أن الانفعالات تأثيرها إيحائي خاصة إذا كانت من الشخص الذي يقتدي به الآخرون: عن عمرو بن مُرة، قال: قال لي النبي ﷺ: «اقرأ علي». قلت: اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «فإني أحب أن أَسمعه من غيري». فقرأت عليه سورة النساء، حتى بلغت ﴿**فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً**﴾ (النساء: ٤١) قال: «أمسك»، فإذا عيناه تذرفان (البخاري)، كتاب التفسير، ح ٤٥٨٢).

٤ - الإشارة اليدوية:

من أنماط السلوك الحركي المصاحب للحديث اللفظي استخدام الإصبع أو اليد للإشارة، نسبة لأنها الوسيلة الأوسع انتشاراً فهي عالمية ومفهومة وسهلة الاستخدام، وذلك على عدة أوجه كما يلي:

أ - **استخدام الإشارة بديلاً للتعبير اللفظي**: يشير النبي ﷺ باليد أو الإصبع للتعبير عن التقارب المكاني أو الزماني أو السرعة وذلك لتوضيح المفاهيم المجردة. عن سهل ابن سعد رضي الله عنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ قال: بإصبعيه هكذا بالوسطى والتي تلي الإبهام «بعثت والساعة كهاتين» (البخاري، كتاب التفسير، ح ٤٩٣٦). ونلاحظ أن النبي الكريم ﷺ يستخدم الإشارة بالإصبع مختصراً التعبير اللفظي الموضح لما يريد، وليس هذا شحاً أو فقداناً للأسلوب التعبيري المناسب، ولكن لزيادة فعالية التعلم ولإشراك المتعلم في إدراك المراد من الموضوعات المشار إليها

وللتمثيل عن التلازم والتقارب، ولفتح المزيد من الحرية التعليمية والتعبيرية أمام المتعلم، كما استنتج أبو هريرة رضي الله عنه عندما روى هذا الحديث، «عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة، فقال: «فيه ساعة، لا يوافقها عبد مسلم، وهو قائم يصلي، يسأل الله تعالى شيئاً، إلا أعطاه إياه». وأشار بيده يقللها» (البخاري، كتاب الجمعة، ح ٩٣٥). ومن عجب! ما يفعله بعض الدعاة اليوم، عندما يذكرون مثل هذا الحديث، بدل أن يشيروا بأيديهم، يقوموا بشرح ذلك السلوك لفظياً، يقولوا وأشار بيده، مما يجعل الحديث خطبة لفظية خالصة مجردة من الحركة، وعازلة للحواس الأخرى مثل البصر من الاشتراك، مما يضعف التقبل عند المستمع.

ب - **استخدام الإشارة الداعمة للفظ**: أشار الرسول ﷺ إلى بعض الأشياء مع ذكر التعبير اللفظي المعبر عنها، كأنما يدعم التعبير اللفظي بالإشارة الموضحة للفظ المذكور، ليشرك حاستي السمع والبصر في تبليغ الرسالة، وهذا مما يزيد من فعالية التعلم: عن النبي ﷺ قال: «إن المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضا»؛ وشبك أصابعه؛ (البخاري، كتاب الصلاة، ح ٤٨١).

ج - **الإشارات إلى الأشياء المعلومة**: إن النبي ﷺ أشار إلى الأشياء والرموز والأفراد والعناصر الكونية المعلومة للجميع، مختصراً بذلك التعبير اللفظي ومشركاً حاستي البصر والسمع في التعلم، ومعطياً حرية الملاحظة والتعبير للمتعلم، وحاثاً المؤمن على التفاعل مع عناصر الكون المختلفة، قال رسول الله ﷺ: «أذا اقبل الليل من ها هنا، وأدبر النهار من ها هنا، وغربت الشمس، فقد أفطر الصائم»؛ (البخاري، كتاب الصوم، ح ١٩٥٤).

٥ - تعديل وضع الجسم:

قدم الرسول ﷺ نماذج تعليمية متكاملة محتوى وأداءً، حتى أن وضعه الجسمي لا ينفصل عن تعبيره اللفظي أو عن إشارته الحركية، وملاحظته البصرية، فلكل قول حال ووضع جسمي معين، فالحب والفرح مثلا أنماط

انفعالية تؤثر في الجسم وتتأثر به، ولذلك المنفعل بما يقول يظهر ذلك في وضعه وحاله الجسمي، ويلفت هذا الوضع انتباه الآخرين لمتابعته وتقليده، خاصة أن الانفعالات لها تأثير إيحائي يعم الجميع، فعن أنس رضي الله عنه قال: رأي النبي ﷺ النساء والصبيان مقبلين فقام النبي ﷺ ممْثِلا فقال: «اللهم أنتم من أحب الناس إلي». قالها ثلاث مرات؛ (البخاري، كتاب مناقب الأنصار، ح ٣٧٨٥). ويتغير وضع الجسم بما يناسب أهمية الموضوع المذكور كما في هذا الحديث، قال النبي ﷺ «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر»؛ ثلاثاً، قالوا: بلى يا رسول الله قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين - وجلس وكان متكئاً، فقال: ألا وقول الزور»، قال: فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت» (البخاري، كتاب الشهادات، ح ٢٦٥٤).

٦ - التمثل الانفعالي للموقف:

أن الرسول ﷺ يتمثل انفعالياً بما يقول وذلك بالتعبير الجسمي الحركي، ونلاحظ ذلك في غضبه إذا تجرأ أحدهم على حد من حدود الله، أو فعل شيئاً تضرر منه المسلمون الآخرون، وإن كان عبادة مثل الصلاة: فعن أبي مسعود الأنصاري قال: قَال رجل: يا رسول الله، لا أكاد أدرك الصلاة مما يطول بنا فلان، فما رأيت النبي ﷺ في موعظة أشد غضباً من يومئذ، فقال: «أيها الناس، إنكم منفرون فمن صلى بالناس فليخفف، فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة»؛ (البخاري، كتاب العلم، ح ٩٠). ومن لطائف البخاري رحمه الله أن هذا الحديث وأحاديث أخرى مشابهة له، جعل عنوان بابها: الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره.

نتيجة السؤال الرابع: ما الوسائل المادية التي استخدمها الرسول ﷺ مع الحديث اللفظي؟

تنوعت الوسائل والأدوات المادية المستخدمة والمصاحبة للأحاديث النبوية الشريفة التي استخدمها الرسول الكريم ﷺ، وشملت ما يلي:

١ - الكتابة:

كان للرسول ﷺ نفر ممن يعرف الكتابة يكتبون عنه الوحي، مما أدى إلى حفظ القرآن الكريم. واستخدمت الكتابة في عهد الرسول ﷺ في توثيق العهود، ومهر الرسائل، كما أمرهم النبي ﷺ بكتابة الوصايا المهمة: قال ابن عباس رضي الله عنهما: اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال: «ائتوني بكتف أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا»؛ (البخاري، كتاب الجزية والموادعة، ح ٣١٦٨).

وقد حصر الهاشمي (١٩٨٥: ص ٣٤٣ و٣٤٤) أسماء ثلاثين صحابياً من كتاب الرسول الكريم ﷺ. وتعد الكتابة وسيلة تعليمية بصرية فعالة، وهي مرتبطة بالقراءة التي خوطب بها النبي الكريم ﷺ مرتين في أوائل آيات القرآن الكريم سبقاً في النزول، قال تعالى: ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم**﴾؛ (سورة العلق، الآيات من ١ إلى ٥). وقد أكدت السنة النبوية المطهرة، في سبق تربوي فريد للفلسفات والنظريات التربوية، أهمية القراءة كنافذة أساسية أولى يطل منها الإنسان على حقل العلم والمعرفة.

٣ - الرسم:

وضح النبي الكريم ﷺ بعض المفاهيم عن طريق الرسم والخط على الأرض مما ساعد في إدراك كثير من المفاهيم المجردة والغيبية: عن عبدالله رضي الله عنه قال: «خط النبي ﷺ خطا مربعاً، وخط خطاً في الوسط خارجاً منه، وخط خُططاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، وقال: «هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به - أو قد أحاط به - وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخُطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا» (البخاري، كتاب الرقاق، ح ٦٤١٧). ومما يؤسف له أن الذين رووا الأحاديث - جزاهم الله كل خير - لم يوثقوا لنا ذلك بصورة عملية خطية، وإنما اكتفوا بالتعبير عنه لفظياً، مما أفقده البعد التعليمي من جانب، ومن جانب آخر جعل الباحثين المعاصرين يجتهدون في تصميم ذلك التخطيط، ولا يستطيعون مطابقته تماماً.

٣ - العينات المادية:

يسّر الرسول ﷺ تعليم المفاهيم، وتبيين القيم والشرائع، والحكم، باستغلال الوسائل والمواقف الملفتة للانتباه، المثيرة للناظر وللسامع، ذات الفعالية في تبليغ الرسالة، من واقع بيئة الناس، من الأشياء التي يعرفونها جيداً. فعن جابر بن عبدالله: أن رسول الله ﷺ مر بالسوق داخلا من بعض العالية، والناس كنفته، فمر بجدي أَسَكَّ ميت، فتناوله فأخذ بأذنه، ثم قال: «أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟». فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال: «أتحبون أنه لكم؟» قالوا: والله! لو كان حيا كان عيبا فيه، لأنه أسكُّ، فكيف وهو ميت؟ فقال: «فوالله! للدنيا أهون على الله، من هذا عليكم»؛ (مسلم، كتاب الزهد والرقائق، ح ٢٩٥٧).

٤ - أدوات للفت الانتباه:

تنوعت أساليب وأدوات وطرق حديث النبي الكريم ﷺ. ومن ذلك استخدامه المخصرة أو العصا لينكت بها، لا يشير بها إلى شيء مادي معين كما في الإشارات السابق ذكرها، ولكن ليلفت انتباههم لما يريد أن يقول، فعن علي رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا النبي فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة، فنكس فجعل ينكتُ بمخصرته ثم قال. . . .» (البخاري، كتاب الجنائز، ح ١٣٦٢).

٥ - المشاهدت الحية:

يمر المعلمون بكثير من المشاهد الحية الفعالة، التي يمكن عن طريقها توضيح المفاهيم والقيم والمعلومات، باعتبارها وسائل بصرية سمعية فعالة، ولا يلتفت إليها أحد منهم، ولكن النبي الكريم ﷺ لم يكن يفوّت شيئاً مما يمكن استغلاله لتعليم الناس. وهذا ما يشير إليه علماء تقنيات التعليم بمصطلح المصادر التعليمية في البيئة المحلية (الطوبجي، ١٩٨٧). وربما يمكن أن نسميه التعليم باستغلال المواقف والمشاهد الحية، التي تقدم كثيراً من مجالات الخبرة

التي تؤثر بدرجات متفاوتة على التعلم، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «قدم على النبي ﷺ سبي، فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسقي، إذا وجدت صبيا في السبي أخذته، فالصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبي ﷺ: «أترون هذه طارحة ولدها في النار؟». قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: (الله أرحم بعباده من هذه بولدها»؛ (البخاري، كتاب الأدب، ح ٥٩٩٩). ومن مثل هذه المشاهد الحية وربطها بالمفاهيم المجردة الكبيرة يكتسب المتعلم خبرة تربوية واسعة، يكتسب بها خطوات التفكر من المشاهدة إلى الشهود كما يسميها مالك بدري (١٩٩٣) حيث يرى أن التفكر يمر بمراحل ثلاث أولها هي مرحلة المعرفة الحسية المباشرة أو غير المباشرة، والثانية هي مرحلة الانبهار بجمال التنسيق وعظمة الصنع وبهاء المنظر، والثالثة هي الانتقال بهذا الإحساس إلى الخالق المبدع، والتي تصل إلى طور رابع اصطلح له الشهود، وهو لا يأتي إلا للمؤمن الذي يحس بالأشياء ويتذوق جمالها، ويربط هذا التذوق لجمال الكون ودقة صنعته بمبدعه جل وعلا.

٦ - العناصر الكونية المعروفة:

إستغل النبي الكريم ﷺ العناصر الكونية المعروفة للمتعلمين كافة، كوسائل تعليمية، بالإشارة إليها أو ذكرها لتوضيح معنى، أو للتمثيل بها عن مفهوم مجرد أو بعيد أو غائب. والأمثلة على ذلك كثيرة، مثل: الشمس والقمر أو النبات أو الحيوان، أو أعضاء جسم الإنسان، أو العينات المادية مثل الثياب، أو أجزاء النبات، أو بعض الأفراد المميزين، الذين يمكن أن يكونوا نماذج للقدوة الحسنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا جلوسا عند النبي ﷺ فأنزلت عليه سورة الجمعة ﴿**وآخرين منهم لما يلحقوا بهم**﴾ (سورة الجمعة: ٣). قال: قلت: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعه حتى سأل ثلاثاً، وفينا سلمان الفارسي، وضع رسول الله ﷺ يده على سلمان، ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا، لناله رجال أو رجل من هؤلاء»؛ (البخاري، كتاب التفسير، ح ٤٨٩٧).

نتيجة السؤال الخامس: ما الشروط التعليمية التي ارتبطت بالحديث اللفظي للأحاديث النبوية؟

إن كل مهتم أو مطلع على الأحاديث النبوية الشريفة يدهشه ذلك الكم الهائل من نصوصها الذي تمكن الصحابة رضي الله عنهم من حفظه بصورة شفهية، مما أدى إلى جمعه وتوثيقه في كتب الحديث المختلفة فيما بعد. وإضافة إلى العناصر التعليمية السابقة نحاول أن نقدم فيما يلي استنتاجاً للشروط والظروف التي ارتبطت بالحديث اللفظي، ويسرت عمليات تعليمه:

١ - شخصية المتحدث:

إن شخصية الرسول ﷺ كان لها تأثير فعال في المتلقين، وهذا يوضح الارتباط بين السمات الشخصية للمربي، والتأثير في المتعلمين. فالشخصية السوية المتسمة بالصحة النفسية العالية مثل حالة السرور والفرح والبشر تساعد المتعلم في تقبل الرسالة اللفظية الآتية فيما بعد، لأنها عبارة عن رسائل تعليمية من المعلم إلى المتلقي، تجد منافذها لديه قبل اللفظ المراد قوله، فعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ دخل عليها مسرورا تبرق أسارير وجهه، فقال: «ألم تسمعي ما قال المدلجي لزيد وأسامة ورأى أقدامهما، إن بعض هذه الأقدام من بعض» (البخاري، كتاب المناقب، ح ٣٥٥٥).

ولذا كان للجوانب الشخصية الإيجابية التي اتسمت بها شخصية الرسول ﷺ، تأثيراً كبيراً في تبليغ الرسائل التعليمية، وتقبّل المتلقين لها بكل يسر. والجوانب الإيجابية التربوية لشخصية الرسول ﷺ أكد عليها القرآن الكريم في مواضع مختلفة، مثل قوله تعالى: ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾؛ (سورة القلم: ٤). وقوله تعالى: ﴿**فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك**﴾؛ (سورة آل عمران: ١٥٩). وقوله تعالى: ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم، عزيز عليه ما عنتم، حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**﴾؛ (سورة التوبة: ١٢٨). ولذلك نخلص إلى أن الحديث اللفظي ليس

منفصلاً عن السمات الشخصية للمتحدث، فكلما امتاز المعلم بسمات شخصية إيجابية، وكلما اتسم بتكامل الشخصية قولاً ومظهراً وفعلاً، ساعد ذلك على تيسير رسالته التعليمية اللفظية إلى المتلقين.

٢ - الوضع المكاني:

نلاحظ أن الرسول الكريم ﷺ غالباً ما يحدِّث الناس من موضع يكون فيه بارزا ظاهراً للمخاطبين، كأن يصعد على المنبر أو الأماكن المرتفعة أو يمثل وافقاً: «أشرف النبي على أطم من آطام المدينة فقال...» (البخاري، كتاب فضائل المدينة، ح ١٨٧٨). و«فصعد رسول الله ﷺ على المنبر فقال...» (البخاري، كتاب الصلاة، ح ٤٥٦).

وقد استخدم النبي ﷺ التنوع المكاني حسب حاجات المتعلمين، والموضوع الذي يريد أن يذكره لهم. ومن الأماكن التي حدّث فيها: المسجد، البساتين والحيطان، السوق، المقابر، في السفر والحضر، داخل المدينة وخارجها، وهذا يدل على أولوية حاجات المتعلمين للتعلم مهما تنوعت الأماكن. وأماكن التعليم يشار إليها حديثاً بالمؤسسات التربوية، ويقول الهاشمي: «لقد عرف المسلمون في تاريخ تطور الفكر التربوي عدة مؤسسات» (الهاشمي، ١٩٨٥: ٤٣٤)، منها: المنازل، المساجد، البادية، الأسواق. ومن جانب إخر فإن التنوع المكاني في التربية النبوية يعتبره النغيمشي (١٩٩٥) جواً تربوياً مفتوحاً يثري الحوافز البيئية. وهذه الطبيعة التحفيزية الكامنة في الجو التربوي وفي البيئة الدعوية تعتبر ميزة من ميزات علم النفس التربوي الإسلامي في الحفز مفهوماً وتطبيقاً. حيث نجد الحوافز تنبعث من طبيعة البيئة التربوية وأحداثها وميادينها، وتأخذ اتجاهاً عملياً يحرك الناس ضمن الحقل التربوي ذاته.

٣ - التنظيم الزمني:

التنظيم التعليمي في الحديث النبوي يرتبط بحاجة وظروف المتعلمين بصورة كبيرة، ومما يدل على هذا التنوع المكاني والزماني، فهناك جدول زمني

منتظم للتعليم، وأول ما يدل على ذلك خطبة الجمعة الأسبوعية، وكذلك تخوّل النبي ﷺ لهم بالموعظة المنتظمة: فعن أبي وائل قال: «كان عبدالله يذكر الناس في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبدالرحمن لوددت أنك ذكرتنا كل يوم قال: أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملكم، وإني أتخولكم بالموعظة، كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا»؛ (البخاري، كتاب العلم، ح ٧٠). وبناء على ذلك نظم الصحابة متابعتهم للتعليم إما بالملازمة والتفرغ التام، كما كان يفعل أبو هريرة رضي الله عنه، أو بالتناوب والتعلم عن بعد، حسب ظروفهم الخاصة كما فعل عمر وجاره الأنصاري رضي الله عنهم: عن عمر قال: «كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد، وهي من عوالي المدينة، وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك» (البخاري، كتاب العلم، ح ٨٩).

وما يرتبط بزمان التعلم استغلال المواقف الطارئة للحديث، وأيضاً مما تجدر ملاحظته على توقيت وتنظيم زمان التعلم عند الرسول الكريم ﷺ استغلال الظروف الطبيعية والكونية، التي تحدث بصورة دورية أو مفاجئة، مثل الكسوف والخسوف، والرياح، والمطر لتعليم الناس بينها وبين موت ابنه إبراهيم، قال رسول الله ﷺ: «إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتهم فصلوا وادعوا الله»؛ (البخاري، كتاب الكسوف، ح ١٠٤٣). وهذا يعتبر تفاعلا مع العناصر الكونية المختلفة، ومتابعة مستمرة للتغيرات التي تطرأ عليها، وتوجيهاً الناس لما يجب أن يفعلوه إزاء تلك الحوادث الطارئة.

٤ - الهدوء أثناء الحديث:

طلب النبي الكريم ﷺ من الناس أن يستمعوا لما يقول، ويكفوا عن اللغو والأحاديث الجانبية، ذلك أن الحديث اللفظي المباشر يتطلب الهدوء، وإبعاد المشتتات التي تعوق التعليم، فعن جرير أن النبي ﷺ قال له في حجة الوداع: «استنصت الناس»، فقال: «لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب

بعض»، (البخاري، كتاب العلم، ح ١٢١). وأن رسول الله ﷺ قال: «إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والإمام يخطب فقد لغوت» (البخاري، كتاب الجمعة، ح ٩٣٤). هذا يدل على أن الحديث اللفظي المباشر يحتاج لوسط هادىء ليس فيه مثير آخر يشتت الانتباه، سوى صوت المتحدث. وقد استخدم الرسول ﷺ ذلك في حديثه اللفظي المباشر.

٥ - إسماع الصوت:

إذا أراد المتحدث أن يُسمع الناس، فلا بد من رفع صوته أو إسماع المتعلمين لقوله، خاصة وأن من متطلبات الانتباه الحسي السمعي، الصوت الذي يصل مستوى معيناً من الارتفاع، ولذلك كان النبي ﷺ يتحدث بصوت مسموع، ولكن عندما يكثر الجمع، يأمر بعض الصحابة لتوصيل الرسالة للآخرين كما فعل في يوم عاشوراء حيث: أن النبي ﷺ بعث رجلا ينادي في الناس يوم عاشوراء: «إن من أكل فليتم أو فليصم ومن لم يأكل فلا يأكل»؛ (البخاري، كتاب الصوم، ح ١٩٢٤). ويطبق مثل هذا المبدأ اليوم في التعليم باستخدام مكبرات الصوت، لتسهيل توصيل وتبليغ الرسائل التعليمية اللفظية.

٦ - التسلسل في القول:

بقدر ما أن الترتيب المنطقي والتسلسل الموضوعي والانطلاق من المعلوم إلى المجهول هو من متطلبات تنظيمات المحتويات، فهو أيضاً ضرورة للأداء الفعال ولذلك نلاحظ أن حديث الرسول الكريم ﷺ امتاز بميزات تعليمية تنظيمية متنوعة مرتبطة بهذا التسلسل منها:

أ - الترتيب والتسلسل حسب الأهمية والحاجة والموقف: إن حديث الرسول الكريم ﷺ عبارة عن خطوات مرتبة منظمة فيها تسلسل وترتيب، وفي نفس الوقت تأتي الموضوعات على قدر حاجة المتعلم بلا تطويل أو إسهاب: قال عبدالله سألت النبي ﷺ «أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها». قال: ثم أيَّ؟ قالَ: «ثم بر الوالدين». قال: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل

الله» قال: حدثني بهن ولو استزدته لزادني؛ (البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، ح ٥٢٧). في هذا الحديث نجد أن النبي ﷺ، قدم الإجابات للصحابي على حسب الأهمية، بتدرج وتسلسل، بلا إسهاب، أو تطويل مراعياً حاجة الصحابي، الذي اكتفى بما قيل له، ولكنه لو طلب زيادة لزاده النبي ﷺ.

ب - **الانطلاق من المعلوم للمجهول**: إن الأشياء المعلومة لدى الجميع لا يكررها الرسول الكريم ﷺ في حديثه، ولكنه يجعلها ثوابت يلفت انتباه المتعلمين بالإشارة إليها فقط، أي عدم حشو الكلام بالمعلوم لدى المتعلمين: فعن محمد عن ابن أبي بكرة عن أبي بكرة ذكر النبي ﷺ، قال: «فإن دماءكم وأموالكم - قال محمد وأحسبه قال - وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا، ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب»؛ (البخاري، كتاب العلم، ح ١٠٥). فالرسول ﷺ أشار إلى اليوم والشهر، ولم يسمهما، لأنها أشياء معلومة لدى المتعلمين. وهذا يفيد في الاختصار، والتركيز على ما يراد تعلمه فقط، بلا مشتتات جانبية من الأشياء المعلومة للجميع.

٧ - **الاختصار**:

يلاحظ أن معظم الأحاديث النبوية الشريفة مختصرة في ألفاظها، شاملة في معانيها، وعن عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان يحدث حديثاً لو عده العاد لأحصاه»؛ (البخاري، كتاب المناقب، ح ٣٥٦٧). ويكون الاختصار أحياناً في الإجابة على تساؤلات المتعلمين بصورة خاصة، حيث يكون بكلمة واحدة فقط في بعض الأحيان. وبصورة عامة فإن الأحاديث النبوية الشريفة تمتاز بقلة مفرداتها وعمق محتوياتها ومبادئها، وهذا ساعد الصحابة الكرام في حفظ متونها.

٨ - **توفير الأمن والحب**:

إن الرسول الكريم ﷺ وفّر الوسط الآمن للمتعلمين، الصغار منهم والكبار، وهذا الأمن جعلهم يحبونه، مما زاد دافعيتهم للتعلم وجعل اتجاهاتهم إيجابية نحو التعلم، فعن ابن عباس قال: ضمني رسول الله ﷺ وقال: «اللهم

علمه الكتاب»؛ (البخاري، كتاب العلم، ح ٧٥). فهذه الضمة وفرت أمناً لذلك الطفل، وساعدته على الاندماج في وسط المتعلمين بمختلف مستويات نموهم، وأزالت عنه التخويف الذي يظهره الكبار للصغار بغية التأديب، وفي صحيح مسلم، عن مُعاوية بن الحكم السلمي قال: بينما أنا أصلي مع رسول الله ﷺ، إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله! فرماني القوم بأبصارهم. فقلت: واثكْل أمياه! ما شأنكم؟ تنظرون إلي، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمّتونني، لكنّي سكت. فلما صلى رسول الله ﷺ، فبأبي هو وأمي! ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه، فوالله! ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني، قال: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن» (مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ح٥٣٧). فقول هذا الصحابي يؤكد أن الرسول ﷺ لم يكن يفصل القول اللفظي من الجو الأمني الذي يوفره، ومد حبل التوصيل العاطفي قبل الرسالة اللفظية، والتي عندما يقدمها يجد المتلقي مهيأ لها تماماً، بل ومتشوقاً لسماعها، فيسهل تقبله وتعلمه لها.

٩ - الحرية في التفاعل اللفظي:

أتاح الرسول الكريم ﷺ قدراً واسعاً من الحرية، للتفاعل اللفظي مما جعل الصحابة يسألونه دوماً عن ما لا يستطيعون معرفته، ولذلك تنوعت أسئلتهم فيما يرتبط بأحكام الإسلام الكثيرة، وأحوال الأمم السابقة، وغيره. ولكنه كره بعض الأسئلة التي لا تفيد في اكتساب شيء مفيد، فقد «سئل النبي ﷺ عن أشياء كرهها فلما أكثر عليه غضب...» (البخاري، كتاب العلم، ح ٩٢).

١٠ - الاتصال البصري:

إن الرسول الكريم ﷺ كان يحدث الصحابة الكرام وهو ملتفت وناظر إليهم «قال عبدالله كنا إذا صلينا خلف النبي ﷺ قلنا السلام على جبريل وميكائيل السلام على فلان وفلان فالتفت إليه رسول الله ﷺ فقال..» (البخاري، كتاب الأذان، ح ٨٣١).

١١ - تفقد المتعلمين:

إن النبي ﷺ كان يسأل عن أصحابه بأسمائهم، وهذا يقوي أواصر الاتصال بين المربي والمتعلمين. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس، فقال رجل: يا رسول الله، أنا أعلم لك علمه، فأتاه فوجده جالسا في بيته، منكسا رأسه فقال: ما شأنك؟ فقال: شر، كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ، فقد حبط عمله، وهو من أهل النار، فأتى الرجل فأخبره أنه قال كذا وكذا، فقال موسى بن أنس: فرجع المرة الآخرة ببشارة عظيمة، فقال: «اذهب إليه، فقل له: إنك لست من أهل النار، ولكن من أهل الجنة» (البخاري، كتاب المناقب، ح ٣٦١٣). وهذا الموقف يدعم القاعدة التربوية التي ترى «أن فكرة المرء عن نفسه هي انعكاس مباشر لفكرة الآخرين عنه، وأن الفرد يبني كثيراً من علاقاته على أساس الرأي السائد فيه» (النغيمشي، ١٩٩٥، ٢٦٢). ويكون هذا الرأي عميق الأثر إذا كان من المربي. وإذا كان المعلم يتفقد المتعلمين، ويشجعهم على السلوك الحسن، ويبدي رأياً إيجابياً فيهم، فإن الفرد منهم يسعى لتأصيل وتأكيد ذلك في ذاته.

وهذا التفقد يأخذ منحى سيكولوجياً آخر بمتابعة استجابة المتلقي، لرأي المعلم فيه وموقفه منه. فكان الرسول الكريم ﷺ يراعي في تعليمه لأصحابه حالاتهم النفسية والفروق الفردية بينهم، حتى أن أحدهم أهدى لرسول الله ﷺ حمارا وحشياً، وهو بالأبواء أو بودان، فرده عليه، فلما رأى ما في وجهه قال: «إنا لم نرده عليك إلا أنّا حرم» (البخاري، كتاب جراء الصيد، ح ١٨٢٥). وهذا ما يمكن أن نطلق عليه مراعاة وتفقد الحالة النفسية للمتعلمين.

١٢ - الإجابة على قدر السؤال:

كما أتاح الرسول الكريم ﷺ الحرية الكافية للصحابة أن يسألوا بموضوعية، نجد أن إجاباته اتسمت بالقصر، والشمول والترتيب، وفي نفس الوقت الدقة والموضوعية والإبانة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء

رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك». قال: ثم من؟ قال «ثم أمك». قال: ثم من؟ قال: «ثم أمك». قال ثم من؟ قال: «ثم أبوك»؛ (البخاري، كتاب الأدب، ح ٥٩٧١). هذا الحديث يوضح أن الرسول ﷺ كان يجيب السائلين على قدر حاجتهم بلا تطويل في الإجابة، أو غموض في الرد، أو تشعيب للموضوع الذي يريد السائل معرفته.

١٣ - اللطف مع المخطئين:

إن الرسول الكريم ﷺ كان رفيقاً لطيفاً، سواءً في تقبله للمتعلمين صغاراً وكباراً، وفي الالتفات إليهم والاهتمام بهم، والإجابة على أسئلتهم، فلم ينهر ولم يزجر متعلماً، والشواهد على ذلك كثيرة ومنها وصف معاوية بن الحكم للرسول ﷺ بقول: «فبأبي هو وأمي! ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله! ماكهرني ولا ضربني ولا شتمني...» (مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ح ٥٣٧).

١٤ - المراجعة والتقويم:

يُقوّم التربويون الخبرة التعليمية بدلالة الأهداف، ولما كانت أهدافهم في معظمها معرفية فقد برعوا في ابتكارت أدوات تقويم المجال المعرفي. ولكن نلاحظ أن أهداف الرسول ﷺ عملية تطبيقية فقد قوّم الصحابة بملاحظة أداءهم العملي وتصحيح أخطاءهم أولاً بأول فيما يعرف اليوم بالتقويم المستمر، أما في الجانب المعرفي فقد كان يعلمهم رسول الله ﷺ مهارات التعلم، وأساليب الاستذكار لما يحفظون من آيات، وكيفية المحافظة عليها، وذلك في تمثيل حسي بليغ حيث أن رسول الله ﷺ قال: «إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المُعَقَّلة: إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت»؛ (البخاري، كتاب فضائل القرآن، ح ٥٠٣١).

تحليل ومناقشة النتائج

سعت هذه الدراسة لتعرُّف العناصر التعليمية في الخطاب النبوي اللفظي، وبعد تحليل عينة من الأحاديث النبوية الصحيحة تم التوصل إلى عدد من النتائج تبين العناصر التعليمية في الخطاب النبوي اللفظي جدول رقم (٢). وهذه النتائج تشير إلى أن الرسول ﷺ أدى دور مؤسسة متكاملة، سواء في تصميم المحتويات، أو في عرضها، أو في تهيئة الظروف الميسّرة للتعلم، مما يعني قيامه ﷺ بتخطيط وتنفيذ برنامج تعليمي متكامل. وبالرجوع للنتائج في الجدول رقم (٢) نلاحظ التنوع والثراء في أشكال محتويات الأحاديث وطرق عرضها وتقديمها. وتذكر أدبيات البحث التربوي أن نظريات التعلم وطرق التدريس الحديثة، تدعو للتنوع في تنظيمات المحتوى وأساليب العرض والتقديم، «لأن لكل موقف تعليمي (معلومة، مفهوم، مهارة، إتجاه) طريقة تناسبه، فما قد يصلح لاكتساب المعلومات قد لا يصلح لتعلم المفاهيم أو اكتساب المهارة. والمدرس الماهر هو ذلك المدرس الذي يستطيع أن يكيّف طريقته لتتناسب مع مواقف التدريس المختلفة ومستويات تلاميذه»؛ (سلامة، ١٩٩٠: ١٩٣). ويدعو التربويون للتنوع في تصميم نماذج المحتويات، وأساليب التدريس، حتى في موقف تعلم واحد. «وأنه بات يهم منظري التدريس والمعلمين، أن يعرفوا أجزاء الاستراتيجية المجتمعة في موقف تدريسي محدد، إذ يُمكن أن يؤدي ذلك إلى نواتج تدريسية مرغوب فيها، كما أنهم معنيون بمختلف نماذج التدريس، بهدف مساعدة المتعلم للوصول إلى فهم شامل لذلك»؛ (قطامي وقطامي، ١٩٩٨، ١٣).

والملاحظة على نتائج البحث في الجدول رقم (٢) أن الخطاب النبوي اللفظي يتكون من خمسة عناصر تعليمية، وكل عنصر منها يتضمن بعض الميسّرات التعليمية في داخله، وفيما يلي مناقشة وتحليل تلك النتائج.

العنصر الأول: أنماط المحتوى:

بالنظر للجدول رقم (٢) نلاحظ أن العنصر رقم (١) يمثل الأنماط

التعليمية في نصوص ومحتوى الأحاديث النبوية المعالجة في هذه الدراسة، وشملت هذه الأنماط: الأمثال، القصص، الاستفهام، التحديد الرقمي، الاقتباس البليغ، واللفظ المباشر.

الأمثال: أدت الأمثال التي وردت في الأحاديث النبوية دوراً تعليمياً مهما، وقد أكدت بعض الدراسات التربوية الحديثة عن الأمثال أهميتها التعليمية (Bulgren et al., 2000; Genter & Holyoak, 1997; Bradly & Bradly, 1977)، حيث أن المثل يعتبر أداة معرفية فعالة تمكن المتعلمين من القيام بالاستنتاجات، وتساعدهم على تعلم المفاهيم المجردة (Genter & Holyoak, 1997). ولذلك يسّرت الأمثال النبوية تعلم المفاهيم الغيبية والمجردة. ومن جانب آخر تمثل الأمثال أساساً معرفياً سابقاً، يمكّن المتعلم من تقبل المفهوم الجديد بكل يسر. «ذلك أن التعلم الناجح يعتمدعلى معرفة سابقة تمثل الأساس الذي ييسر للمتعلم اكتساب المعلومات الجديدة» (Bulgren et al., 2000: 426). وعندما تم تضمين الأمثال في بعض المحتويات التعليمية التجريبية في دراسة قام بها برادلي وبرادلي (Bradley & Bradley, 1997) توصلا إلى أن هذه الطريقة زادت فعالية التعلم لدى الطلاب، ومكنتهم من القيام بالتفكير المتباعد. وقام بلقرن وآخرون (Bulgren et al., 2000) بدراسة تجريبية استخدموا فيها الأمثال ضمن محتوى تعليمي تجريبي محدد، وتم تدريس ذلك المحتوى بطريقة تسمح للمتعلم أن يكتسب المفهوم الجديد عن طريق عرض مثال معروف للطلاب ويشبه المفهوم الجديد في خصائصه، وأدى ذلك إلى تحسين تحصيل جميع الطلاب في المجموعة التجريبية بفئاتهم التحصيلية المختلفة، وتفوقوا على نظرائهم الذين لم يخضعوا لنفس الظروف التعليمية. وهذا يوضح لنا أهمية الأمثال في التعليم والتعلم، ويؤكد على دورها في اكتساب الصحابة رضوان الله عليهم لمفاهيم الإسلام المختلفة بتمثيل الرسول ﷺ لها بأشياء محسوسة أو معلومة لديهم.

القصص: الأحاديث النبوية غنية بالقصص التعليمية التي تم استخدامها في الحديث اللفظي المباشر، وتم توظيفها لأداء الأغراض التعليمية من حيث

العرض والأهداف. وتنوعت تلك القصص من حيث الطول والقصر، أو من حيث الأشخاص، أو العناصر الحيوانية والنباتية الأخرى الممثلة لها. ولكن نلاحظ أنها ذات ميزات كثيرة أكسبتها الأبعاد التربوية العميقة، وجعلت منها وسيلة لفظية مضمّنة في النص، ويسهل استخدامها. أما الدور التعليمي الذي تلعبه القصة فقد أكدته عدد من الدراسات الحديثة (Surmay, 2000; Raines & Isbell, 1999; Elliot & Drake, 1999; Hendrickson, 1992; Wolf, 1993; Ma, 1994). وللقصة أهمية تعليمية كبيرة، فقد ذكر اليوت ودريك (Elliot & Drake 1999) أنه يوجد اتفاق عام بين المربين على أن القصة تعد أداة تعليمية حقيقية، تساعد في اكتساب كثير من المهارات. ويرى (قطامي، ١٩٩٨) أن القصص يمكنها أن تمثل إحدى المدخلات التي تستند عليها مساعدات التذكر. وهذا بدوره يسهل عملية استرجاع المعلومة التي جاءت بصورة قصصية فيما بعد. ونشاهد في الحياة العامة قدرة الأفراد على ذكر الحكايات والقصص في أنسهم مع بعضهم البعض بكل يسر وسهولة، بل ويتقبلها الكبار والصغار منهم. وفي مجال التعلم المدرسي يرى رينر وإسبل (Raines & Isbell, 1999) أن الاستماع إلى القصص يساعد في تحسين التعلم لدى الطلاب، بزيادة معلوماتهم عن العالم وعن العلاقات الإنسانية، وإشباع حاجاتهم الانفعالية من خلال المتعة التي يجدونها. ولكن نلاحظ أن القصص النبوي كان هادفاً، يسعى لإكساب قيم تربوية معينة، أو توضيح مفاهيم غامضة، ووضوح الهدف يساعد على تنظيم عملية التعلم «لأن التنظيم عامل أساسي في عملية التعليم والتعلم. والتنظيم يأتي من وضوح الهدف من الدرس، فإذا وضح الهدف فإن المعلم ينظم الخبرات التي سيكسبها لطلابه، وهذا التنظيم يشوق الطلاب، ويسهل عليهم الفهم، فيكسب الإنسان الخبرة بيسر وسهولة»؛ (السيد، ١٩٩٧ : ٤٥).

وتؤثر القصة في السلوك التعليمي المكتسب لاحقاً، لأن الفرد يتمثل شخصياتها ومفاهيمها فيما بعد، وللتأكد من هذه الفرضية قام سيرمي (Surmay, 2000) بدراسة تأثير القصة التعليمية على الأداء اللاحق للطلاب، وذلك من خلال فحص كتابات الطلاب بعد تعلمهم عن طريق القصص، وتوصل إلى أن الطلاب

استعاروا بعض موضوعات القصص السابقة في كتاباتهم اللاحقة، ونقلوا أفكار القصص التي اكتسبوها من قبل وظهرت في كتاباتهم الخاصة. وهذه النتيجة تدعونا لضرورة عرض القصص المفيدة التي تحمل قيماً إيجابية مرغوب فيها على أبنائنا. وعلى المربين أن يقدموا أحسن القصص للطلاب في محتويات التعليم، والقرآن الكريم دليلنا في ذلك حيث يقول الله تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾ (سورة يوسف، آية رقم ٣).

الاستفهام: بالنسبة للاستفهام فقد جاء في أكثر من عنصر، (أنظر جدول رقم ٢) حيث وردت الصيغة الاستفهامية في المحتوى، وفي التفاعل اللفظي أثناء الأداء. والأداء الاستفهامي يسمى أحياناً بطريقة الحوار، أو طريقة المناقشة. أما عرض الأسئلة أثناء التفاعل اللفظي لتصحيح إجابة سابقة بصورة ذاتية من المتعلم بعد توجيه المعلم، فقد أطلق عليه اسم السَّبْر (Probing) ويعرف «على أنه نوع من الاستراتيجيات التي تشير إلى احتراف المعلم في طرح أسئلة أو استخدام عبارات لحث المتعلم على الإلمام بالإجابة التي افتقر إليها أو تصحيح إجابته الأولية أو الأصلية (أول إجابة) الخاطئة أو الناقصة أو الغامضة أو السطحية أو الحالية وتمكينه من إعطاء دلائل يثبت بها صحة إجابته، ويظل الحوار بين المعلم والمتعلم صاحب الإجابة الأولية أو الأصلية حتى يعرف الإجابة الصواب، أو يصحّح استجابته، أو يكملها، أو يوضحها أو يعمقها أو يثبت صحتها» (بكار، ٢٠٠٠: ١٠٨). وقد نالت الصيغة الاستفهامية في تصميم المحتوى أو في التدريس اهتماماً من الباحثين، لأن الإنسان محب للاستطلاع بطبيعته، وأنه يستشعر الرضى عندما يقوم بحل مشكلة ما أو تطوير مهارات ما. وقد أورد توق وعدس (١٩٨٤) «أن عالم النفس الأمريكي بيرلاين (Berlyne) أشار إلى أن توجيه الأسئلة إلى الطلاب عوضاً عن تقديم الحقائق يزيد من مقدار التعلم، وأهم من ذلك أنه يزيد من درجة الاهتمام بالمادة الدراسية، ويسهم في تعلم المزيد حول الموضوع» (ص: ١٥١). ومن جانب آخر، فإن حب الاستطلاع والتساؤل يمكن الطالب من أن يتعلم كيف يتعلم (قطامى وقطامي، ١٩٩٨: ٦٩).

وتؤكد الدراسات الميدانية أهمية الاستفهام والتساؤل. ففي دراسة أجراها وود وآخرون (Wood et al., 1999) شملت عينة تباينت أعمارها من طلاب المرحلة الابتدائية وحتى طلاب المستوى الجامعي، استخدم مع كل المجموعات التجريبية الطريقة الاستفهامية في التدريس، مقارنة بطرق أخرى مختلفة مع عينات مماثلة. توصل إلى أن مجموعات الطلاب الذين تم تدريسهم بالطريقة الاستفهامية تفوقوا على الطلاب الذين تم تدريسهم بالطرق الأخرى، وذلك بالنسبة لسرعة اكتساب المعلومات، وطول مدة تذكرهم للمعلومات، وخاصة عند صغار السن من أفراد العينة التجريبية، وهذا يفسر لما أن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما كان أصغر القوم سناً عندما سألهم الرسول ﷺ عن الشجرة التي تشبه المؤمن، ولكن عبدالله من بين كل المجموعة الحاضرة وحده الذي تذكر وروى هذا الحديث الذي خاطبهم فيه الرسول ﷺ بصيغة استفهامية، عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وهي مثل المسلم، حدثوني ما هي؟» فوقع الناس في شجر البادية، ووقع في نفسي أنها النخلة، قال عبدالله: فاستحييتُ، فقالوا يا رسول الله، أخبرنا بها، فقال رسول الله ﷺ: «هي النخلة» (البخاري، كتاب العلم، ح ١٣١). وما يؤكد أهمية الصيغة الاستفهامية في التعليم والتدريس كذلك دراسة سابقة قام بها وود وآخرون (Wood et al., 1994) حيث استخدم أربعة أنواع من طرق التدريس، من ضمنها الطريقة الاستفهامية، وتوصل إلى أن الطلاب الذين تم تعليمهم بواسطة الطريقة الاستفهامية استطاعوا أن يتعلموا الحقائق العلمية بصورة أفضل مقارنة بمن درسوا بالطرق الأخرى. وتذكر أدبيات البحث التربوي مزايا عديدة لأسلوب الحوار والاستفهام والمناقشة، حيث «يفترض أسلوب الحوار والمناقشة إيجابية الطالب ومشاركته في عمليتي التعليم والتعلم.. وتنقل المناقشة الطالب من الدور السلبي إلى الدور الإيجابي.. وتساعد الطلبة على اكتساب مهارات الاتصال والتواصل والتفاعل» (زيتون، ١٩٩٥: ١٨٢).

التحديد الرقمي: والمراد به الترتيب المنظم والمتسلسل للمعلومات، في خطوات متتالية، محددة بداية ونهاية، كما في هذا الحديث عن النبي ﷺ قال:

«تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» (البخاري، كتاب النكاح، ح ٥٠٩٠)، نلاحظ أن المعلومات مرتبة ومنظمة بتحديد رقمي كمي، وكثيراً ما يقاس العلم ونضجه بمدى استخدام لغة الكم (أبو حطب وصادق، ١٩٩١: ٥). وقد لاحظ الباحث أثناء تحليله للأحاديث النبوية الممثلة لعينة الدراسة أن التحديد الرقمي يتراوح بين اثنين وسبع، في حديه الأدنى والأعلى، مع نيل الرقم ثلاثة أعلى نسبة بينها. ولذلك يمكن أن نتساءل: هل هناك علاقة بين السعة الاستيعابية اللحظية للمستمع لحديث لفظي والتسلسل الرقمي إلى حد معين، أم أن هذا التحديد كان صدفة محضة؟. والإجابة عن هذا التساؤل توضح أن هذا التحديد الرقمي المحصور بين اثنين وسبعة ليس صدفة، وإنما هو تحديد له علاقة بالتعلم والتذكر، «حيث يستقبل الإنسان عدداً هائلاً من المعلومات عن طريق جهازه الحسي إلا أن جزءاً قليلاً جداً من تلك المعلومات تتم معالجته في الذاكرة قصيرة المدى، ومن بعدها ينقل جزءًا أقل منها للذاكرة طويلة المدى» (Solso, 1998: 189). وبالتالي فإن تقديم عدد محدود من المعلومات ييسّر عمليات تذكرها ومعالجتها واسترجاعها. وهذا يوضح لنا الأهمية التعليمية لاختصار الكلمات في نصوص الأحاديث النبوية. وما يؤكد ذلك أيضاً ما توصل إليه الباحثون في علم النفس المعرفي من أن سعة مخزون الذاكرة قصيرة المدى يتحدد بعدد المعلومات التي يمكن التعامل معها في نفس اللحظة، واتضح أن سعة هذا المخزون محددة بحوالي خمس إلى تسع وحدات مستقلة، أي بمتوسط سبع وحدات في أقل من دقيقة (حوالي ١٢ ثانية)، والوحدات يمكن أن تكون مفردات أو كلمات أو أرقام أو بنود قصيرة، مسموعة كانت أو مرئية (البيلي وآخرون، ١٩٩٨؛ Solso, 1998). أي أن المتلقّى بوسعه أن يستفيد من المعلومات التي تقدم إليه، ويستطيع تذكرها فيما بعد، إذا قدمت بصورة مختصرة، لا يتجاوز عددها تسعة بنود أو وحدات، في نفس اللحظة، وهذا يفسر لنا عدم تجاوز التحديدات الرقمية للبنود الواردة في الأحاديث النبوية التي تم تحليلها في هذه الدراسة أكثر من سبعة، مثل: سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، واجتنبوا السبع الموبقات.

وفي ضوء نظرية معالجة المعلومات أجريت دراسات مختلفة للتأكد من سعة الذاكرة قصيرة المدى، وعدد المفردات أو الوحدات التي يمكن أن يتم استقبالها ومعالجتها، ونالت دراسة ميلر عام ١٩٥٦ في هذا الموضوع أهمية خاصة، حيث وجد أنه بإمكان الفرد أن يتذكر من خمس إلى تسع مفردات أو وحدات في نفس اللحظة، أي بمتوسط سبع وحدات أو مفردات، ولذلك أطلق على الرقم سبعة مفهوم الرقم السحري ٧ + ٢ (Miller, 1994). إذن فإن عدم تجاوز الرقم سبعة للبنود الواردة في بعض الأحاديث النبوية مرتبط بتعلمها وتذكرها فيما بعد، وذلك نتيجة للارتباط الوثيق بين عمليتي التذكر والتعلم، «حيث أن التعلم يعني في بعض معانيه احتفاظ المتعلم بالخبرات التي اكتسبها في عملية التعلم فإذا لم يتمكن المتعلم من الاحتفاظ بأي شيء دل ذلك على أن التعلم لم يحدث» (قطامي، ١٩٩٨، ١٠٥). ومن جانب آخر يمكن اعتبار التحديدات الرقمية عمليات تنظيمية للمحتوى لتسلسل الموضوعات وترتيبها، أو لتسهيل تقديمها، لتيسير تعلمها وتذكرها، «لأن من العوامل المؤثرة في عملية التذكر عوامل خاصة بطريقة التعلم، ويمكن تمثيلها باتجاهات التعلم السائدة، وخصائصها في تعلم الخبرة، حيث أن لكل اتجاه خصائص تنعكس على طبيعة الخبرات التي يتم تعلمها وخزنها» (قطامي، ١٩٩٨: ١١٥).

الاقتباس: من أنماط المحتوى اللفظي للأحاديث النبوية الاقتباس البليغ (جدول رقم ٢)، والاقتباس يساعد في تدعيم المحتويات ببعض الأقوال التي لها أهمية خاصة للمتعلمين. وقد توصل ديلر (Diller, 1996) إلى أن اقتباس بعض النصوص وعرضها على المتعلمين، يعمق لديهم فهم تلك النصوص، ويمكنهم من مناقشتها، واستخدام لغتهم الخاصة في التعبير عنها. وقد اقتبس الرسول الكريم ﷺ كثيراً من آيات القرآن الكريم سواءً لتفسيرها أو للاستشهاد بها (البخاري، كتاب تفسير القرآن)، كما اقتبس الرسول ﷺ بعض الحكم، وأبيات الشعر، وحملها المعاني الإسلامية السامية.

اللفظ المباشر: هو صورة لفظية تقريرية خالية من التمثيل أو القصة، أو

الاستفهام، أو التحديد الرقمي أو الاقتباس، مثل قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات...» (البخاري، كتاب بدء الوحي، ح ١). نلاحظ أن النص الذي يحمل المعنى يكون تقريراً مختصراً موضحاً لمعنى معين. والملاحظ أن هذا النمط من محتوى الأحاديث ليس كثيراً مقارنة بالأنواع الأخرى. كما أنه في معظمه حوى نصاً قصيراً بألفاظ محدودة ذا فكرة واحدة. وهذا الأسلوب يسميه بعض الباحثين بالوعظ، ولكن الباحث يرى أن هذا الأسلوب يختلف تماماً عن ما يقوم به بعض الدعاة الذين يزعمون أنهم يعظون، ولكنهم يطيلون الحديث، ويعددون الموضوعات، مما يمثل عاملاً سلبياً في إضعاف الرسالة التي يوجهونها، ويشتتون انتباه المتلقي، ولا يساعدونه في التركيز على الموضوع المحدد، مما يمكنه من إجراء عمليات أخرى مرتبطة به مثل التذكر والتمثيل والتفكير في اللفظ المعين، لأن اللفظ المباشر في الأحاديث النبوية جاء في صورة مختصرة، غير مطولة، ولها موضوع واحد.

العنصر الثاني: الأداء اللفظي:

بالرجوع للجدول رقم (٢) نلاحظ أن النتائج الممثلة للعنصر رقم (٢) كيفية الأداء اللفظي للأحاديث شملت: التكرار، النداء، تغيير نبرات الصوت، والتفاعل اللفظي مع المتعلمين. وتمثل هذه النتائج مجتمعة ما يمكن أن نسميه بعملية الاتصال اللفظي بين المعلم والمتعلم.

الاتصال اللفظي: يتم الاتصال اللفظي بين المعلم والمتعلم أثناء عملية التعليم، ويتراوح مداه حسب فعالية الطرفين، ولكن المعلم يقع عليه العبء الأكبر سواء بالمبادرة في الاتصال أو تهيئة الفرصة وتشجيع المتعلم على الاتصال. وفي ضوء نظام فلاندرز لتحليل التفاعل اللفظي يمكن تقسيم كل كلام مدرس الفصل إلى قسمين رئيسيين وهما: كلام مباشر، وكلام غير مباشر. ويعطي هذا التقسيم أهمية كبيرة لدرجة الحرية التي يمنحها المدرس لطلابه. فيمكن أن يكون

المدرس مباشراً في سلوكه إذا منح طلابه الحد الأدنى من الحرية في الاستجابة، ويمكن أن يكون المدرس غير مباشر في سلوكه إذا منح طلابه الحد الأعلى من الحرية في الاستجابة داخل حجرة الدراسة (فلاندرز، ١٩٨٦ : ٧).

ويمثل التفاعل اللفظي تنوع اتجاه سير الخطاب بين المرسل والمتلقي، وذلك في أسئلة المتعلمين للمعلم، أو إبداء آرائهم، وتوضيح ملاحظاتهم التي يتقبلها المعلم ويرد عليها، ومن مميزات تفاعل النبي ﷺ في خطابه اللفظي في أحاديثه الشريفة، أنه أتاح حرية واسعة للمتعلين على حد سواء، وظهر ذلك في أسئلتهم الخاصة بهم وفق اختيارهم الحر. وأفادت نتائج بعض الدراسات، أن الاختيار الحر في التعلم له أهمية كبيرة، في توجيه الميول والعمليات المعرفية، وزيادة دافعية التعلم (Schraw, 1998). ولذلك يطالب الباحثون بتوفير الحرية للمتعلمين خاصة الصغار منهم، وتفيد نتائج البحوث أن هناك علاقة إيجابية بين إتاحة الحرية للمتعلمين وبين مستوى النشاط والحماسة للتعلم، والتنظيم الذاتي، والابتكارية (Schraw, 1998). وتوصلت بعض الدراسات النفسية إلى أن التفاعل الاجتماعي والاختلاط بين الكبار والأطفال، وتعليمهم وفق اهتماماتهم وحاجاتهم، يساعدهم في نمو ذاتهم، واكتسابهم للقيم الإيجابية، ويزيد دافعية الإنجاز لديهم (Wentzel, 1999). وبالنسبة لفعالية وإيجابية هذا الأسلوب التفاعلي بين المعلم والمتعلم، وإتاحة الحرية أمام المتعلم، يطالب بعض المربين أن «يهيىء المعلم مواقف حب الاستطلاع الحرة المفتوحة أمام الطلاب ليقوموا بالتساؤل، والاستكشاف، والتفكير» (قطامي وقطامي، ١٩٩٨، ٦٩).

ومما يدعم التواصل اللفظي بين المعلم والمتعلم ويوصل رسالة المعلم بكل يسر التكرار، فالتكرار يعتبر من الأساليب المساعدة على التعلم. وإن تكرار خبرة ما عدة مرات يكسبها نوعاً من الثبات، وبالتالي إمكانية نموها ضمن خبرات المتعلم الأخرى (السيد، ١٩٩٧ : ٤٤). والتكرار الواعي للخبرة يمكّن المتعلم من تذكرها (Reilly & Lewis, 1991: 176). والواضح أن الرسول ﷺ كان يكرر حديثه، عن أنس عن النبي ﷺ «أنه كان إذا سلم سلم ثلاثاً وإذا تكلم

بكلمة أعادها ثلاثاً» (البخاري، كتاب العلم، ح ٩٤). ولكن نلاحظ أن المتحدثين اليوم – الذين يرددون هذه الأحاديث – لا يستفيدون من كيفية الأداء اللفظي التي مارسها الرسول ﷺ، وهذا يوضح ضعف الإعداد التربوي للدعاة وعدم الاستفادة من الأساليب النبوية في التبليغ. فلا يرددون الأحاديث كما ينبغي، ولا يكررون المكرر منها، مما يوضح التباين في الأسلوب التعليمي الذي مارسه الرسول ﷺ، والذي يمارسه المربون والدعاة بنفس محتوى الأحاديث المذكورة، بل وإن الكتب التي تكتب فيها الأحاديث، خالية من إمكانات التعلم الذاتي التي حدّث بها الرسول ﷺ، فبدل أن تكرر نفس القول ثلاث مرات، تكتفي بالإشارة التوضيحية إلى أن النبي ﷺ كرره ثلاث مرات أو غير ذلك.

ومما يقوي الاتصال اللفظي بين المعلم والمتعلم النداء، وقد استخدم الرسول ﷺ النداء في حديثه بصورة مختلفة، إما نداء مسمى لفرد معين، محدداً اسمه، أو بلفظ أكثر تعميماً، مثل «يا غلام»، أو تعميماً جماعياً مثل «أيها الناس»، والمعلوم أن النداء المباشر يؤدي للفت انتباه المخاطب، لأن المستمع يعتقد أن الخطاب موجَّه له دون غيره، فيزيد من تركيزه ومتابعته للموضوع.

العنصر الثالث: السلوك الحركي:

بالرجوع لنتائج البحث المجملة في الجدول رقم (٢) نلاحظ تنوع السلوك الحركي للرسول ﷺ، أثناء تحديثه اللفظي، حيث شمل: التعبير بالوجه والبكاء، التبسم والضحك، تعديل وضع الجسم، الإشارة باليد، والتمثل الانفعالي للموقف. ومع أن هناك اختلافاً بين علماء النفس في طبيعة ونمطية العلاقة بين تعبير الوجه ونوع شخصية الفرد، إلا أنه يوجد اتفاق على أن تعبير الوجه له علاقة وتأثير على التفاعل الاجتماعي، والابتسامة تشجع الأفراد على التقارب (Azar, 2000). ومع أن الابتسامة أو الضحك في أصلهما يمثلان سلوكاً حركياً جسمياً، إلا أن بعض التربويين يعتبرونها ميسرات أو رسائل تعليمية لتبليغ رسالة معينة، لأن «الوسيلة التعليمية هي كل ما يساعد المعلم على تبسيط

الرسالة لطلابه وتشويقهم لتقبلها، فقد تكون الكلمات من خلال أسلوب سهل وبسيط، وقد تكون في بسمة المدرس وحركات يديه وتعبير وجهه» (السيد، ١٩٩٧: ٣٨).

ويرى بعض التربويين «أن استخدام المعززات الثانوية كدوافع للتعلم، مثل الكلمات اللطيفة والابتسامات الرقيقة والتعبير عن قبول مشاعر المتعلمين وأفكارهم وسلوكهم من شأنه أن يسهم في الحفز على التعلم؛ (السامرائي، ٢٠٠٠: ٩٣). واستخدم الرسول ﷺ الإشارة اليدوية لتوضيح المفاهيم المجردة، كما شبك بين يديه للتعبير عن التعاون والتماسك المفترض أن يكون بين المؤمنين، كما استخدم الإشارة اليدوية كذلك لتقريب المدى الزمني، مثل العلاقة بين زمن بعثته وقرب موعد الساعة. وهذه الإشارة وغيرها من أساليب التعبير الجسمي تقع على عاتق المعلم أو الموجه المباشر.

العنصر الرابع: الوسائل التعليمية:

بالنسبة لأدوات التواصل والوسائل التعليمية التي استخدمها الرسول ﷺ الموضحة في الجدول رقم (٢)، المتمثلة في الكتابة، والتوضيح بالرسم، واستخدام العينات المادية أو الإشارة للعناصر الكونية والمشاهد الحية، نلاحظ في هذه الوسائل التنوع والتداخل المتزامن بين الوسيلة أو السلوك الحركي والإشارة وبين النص اللفظي، وهذا يماثل ما يسمى حديثاً في التربية بالبيئة المتعددة الوسائط (Multimedia Environment). وهذا المفهوم يتكون عندما يتم الاتصال بأكثر من شكل، مثال ذلك أن تقدم المعلومة في صورة لفظية مصحوبة برمز بصري (Mayer et al., 1999). وتبدو ضرورة الربط بين اللفظ والوسيلة ولكن في نفس الوقت، أو نفس الموضع، حيث اتفقت نتائج عشر دراسات على أن هذا الربط بين الألفاظ والوسائل أيا كانت، في موقف واحد بصورة مجتمعة، جعل الطلاب الذين درسوا بذلك يتفوقون على من تم تدريسهم بطريقة تم فيها الفصل بين الوسائل والألفاظ، وذلك بنسبة تفوق خمسين بالمائة في نتائج التعلم لصالح المجموعة الأولى (Moreno, 1999). وهذا يوضح ويؤكد فعالية هذا الربط

بين اللفظ والإشارة، أو بين اللفظ والعينة المادية، الذي استخدمه الرسول ﷺ في تعليمه لأصحابه. وما تجدر ملاحظته هو تميّز الوسائل التي استخدمها الرسول ﷺ بالبساطة واليسر والانتشار والقرب من واقع حياة الناس اليومية.

ومن الوسائل التي استخدمها الرسول ﷺ العرض التوضيحي المتمثل في الرسم والتخطيط الذي يوضح العلاقة بين بعض المفاهيم المجردة، وينقلها إلى تصور محسوس مرئي حيث «خط النبي ﷺ خطاً في الوسط خارجاً منه وخط خُططاً صغارا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط وقال...) (البخاري، كتاب الرقاق، ح ٦٤١٧). ونلاحظ انتشار استخدام الأشكال التوضيحية والنماذج والمخططات البيانية في الدوريات العلمية أو المقررات الدراسية أو في وسائل الإعلام المرئية، بصورة تدل بداهة على أهمية هذه الأشكال في التعليم، وما يؤكد هذا القول النتائج التي توصل إليها شاهـ (Shah, 1999) بعد إجرائه بعض البحوث التجريبية، ووجد أن الأشكال والمخططات التوضيحية المستخدمة مع النصوص اللفظية ساعدت في فهم النصوص ونقلها من المستوى الكيفي المجرد إلى المستوى الكمي المحسوس والمبسط، ومكّنت المتعلمين من تحسين تعلمهم وإدراكهم للمعلومات اللفظية المجردة.

العنصر الخامس: شروط الحديث اللفظي:

استنتج الباحث من خلال هذه الدراسة بعض الظروف الموضوعية والشروط التي يرى أنها مرتبطة بالحديث اللفظي للرسول ﷺ، وقد يكون لها دور في تمكن الصحابة من حفظ تلك الأحاديث، وقدرتهم على استرجاعها فيما بعد. وتلك الشروط يمكن تلخيصها في ثلاثة أبعاد هي:

البعد الأول: يمثل الجوانب التربوية التعليمية لشخصية الرسول ﷺ، في علمه وفي خلقه، وفي قدوته الحسنة. والذي ظهر في الأسلوب اللطيف الرقيق الذي اتسم به الرسول ﷺ في معاملته لأصحابه. ولعل هذا اللطف في تقبل المتعلمين، وتوجيههم لتحسين أخطائهم بهدوء، هو الذي جعل معاوية بن

الحكم يصف الرسول ﷺ بهذا الوصف الدقيق «. . . فبأبي هو وأمي ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه. . . .» (مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ح ٥٣٧).

البعد الثاني: يتمثل في الإجراءات المرتبطة بالحديث، المتمثلة في اختيار المكان والزمان المناسبين، وتقدير حالة المخاطب وحاجاته، وتهيئة بيئة التعلم بإبعاد المثيرات المشتته، والمطالبة بالهدوء، وتبليغ الصوت ورفعه وتوصيله للمتعلمين، والتسلسل في تناول الموضوعات وعرضها، وتوفير الأمن والحرية للمتعلمين.

البعد الثالث: يتمثل في التفاعل الاجتماعي بين الرسول ﷺ وبين الصحابة رضي الله عنهم، وبأساليب متنوعة مع كل من الصغار والكبار. ومن أشكال التفاعل التي مارسها الرسول ﷺد أنه كان يختلط بالصحابة ويسأل عنهم ويفتقدهم، ويسألهم بأسمائهم، مثال ذلك «أن النبي ﷺ تفقد ثابت بن قيس. . .» (البخاري، كتاب المناقب، ح ٣٦١٣). وهذا يمثل تفاعلاً بين المعلم والمتعلم، ويساعد هذا التفاعل بدوره في تعلمهم وزيادة دافعيتهم، وهذا أكدته بحوث كثيرة، حيث حصر ريف وآخرون (Reeve et al., 1999) نتائج عدد من البحوث التي أكدت أن التفاعل الاجتماعي بين المعلمين والمتعلمين، يؤثر إيجابيا في زيادة دافعية التعلم لدى الطلاب، وفي زيادة دافعيتهم نحو المدرسة، وتحسين أدائهم الأكاديمي. ولذلك يمكن أن نقول: إن حب الصحابة للرسول ﷺ، وحبه هو لهم وتفاعله معهم، ساعدهم على التعلم منه، وحفظ الأحاديث اللفظية التي ذكرها لهم، ووصف السلوك العملي الذي قام به أمامهم.

خلاصة البحث وتوصياته

١ - الخلاصة:

أوضحت نتائج البحث أن الخطاب النبوي في الحديث اللفظي المباشر عبارة عن رسالة متكاملة العناصر من حيث التكوين التعليمي، ومتضمنة للعديد من الميسرات التعليمية المتنوعة، كما يلي:

العنصر الأول: النمط التعليمي للمحتوى اللفظي للأحاديث: تضمّن نص ومحتوى الأحاديث اللفظية الميسّرات التعليمية التالية:

١ - الأمثال التعليمية، ٢ - القصة التعليمية، ٣ - الاستفهام، ٤ - التحديد الرقمي، ٥ - الاقتباس البليغ، ٦ - اللفظ المباشر.

العنصر الثاني: كيفية الأداء اللفظي للأحاديث: جاء الأداء اللفظي للأحاديث اللفظية بهذه الأساليب: ١ - التكرار، ٢ - النداء، ٣ - الصمت وتغيير نبرات الصوت، ٤ - التفاعل اللفظي مع المتعلمين.

العنصر الثالث: السلوك الحركي والوضع الجسمي أثناء الحديث: كان رسول الله ﷺ يتفاعل حركياً وجسمياً مع حديثه اللفظي وذلك بالأنماط التعليمية التالية: ١ - التعبير بالوجه، ٢ - التبسم والضحك، ٣ - البكاء وحركة العيون، ٤ - الإشارة اليدوية، ٥ - تغيير وضع الجسم، ٦ - التمثل الانفعالي للموقف.

العنصر الرابع: الوسائل التعليمية المستخدمة مع الحديث اللفظي: استخدم رسول الله ﷺ الوسائل المادية المحسوسة لتدعيم المفاهيم اللفظية التي حدث بها، ومن تلك الوسائل ما يلي: ١ - الكتابة، ٢ - الرسم، ٣ - العينات المادية، ٤ - أدوات للفت الانتباه، ٥ - المشاهد العابرة، ٦ - العناصر الكونية.

العنصر الخامس: الشروط والظروف الموضوعية المرتبطة بالحديث اللفظي المباشر: كان الحديث اللفظي المباشر من النبي الكريم ﷺ يتم وفقاً لشروط وظروف ساعدت في تيسير عمليات التعلم، وتلك الشروط تتمثل في ما يلي: ١ - سمات شخصية المتحدث، ٢ - الوضع المكاني للمتحدث وللحديث، ٣ - التنظيم الزمني للحديث، ٤ - الهدوء أثناء الحديث، ٥ - إسماع الصوت للمتلقين، ٦ - التسلسل في القول، ٧ - الاختصار، ٨ - الأمن والحب

للمتعلمين، ٩ - الحرية للمتعلمين في تفاعلهم اللفظي، ١٠ - الاتصال البصري، ١١ - تفقد المتعلمين، ١٢ - الإجابة على قدر السؤال، ١٣ - اللطف والرفق بالمتعلمين، ١٤ - المراجعة والتقويم.

ونظرة خاتمة إلى العناصر التعليمية التي شملتها الأحاديث النبوية اللفظية تجعلنا نخلص إلى أن حفظ الصحابة لها، واكتسابهم لها ولغيرها من المهارات المختلفة من الرسول الكريم ﷺ مما ارتبط بدينهم، كان نتيجة موضوعية، للحكمة النبوية البارعة في التبليغ المحتوِي لأدوات توصيله في داخله. ونرى أنه إذا تمت مراعاة العناصر التعليمية التربوية، يمكننا أن نحسّن ونطوِّر نظمنا التعليمية ونسعد بمخرجات تلك المؤسسات بإذن الله.

٣ - التوصيات:

في ضوء نتائج هذا البحث نوصي مخططي ومنفذي البرامج التعليمية عامة والتربية الإسلامية خاصة بما يلي:

١ - يجب الاهتمام بالعناصر التعليمية في الخطاب اللفظي، وذلك في شكل المحتوى، وأسلوب الأداء اللفظي، والسلوك الحركي المصاحب لذلك الأداء، والوسائل والمعينات الموضحة والممثلة للمفاهيم التعليمية، وتوفير الشروط والظروف التي تزيد من فاعلية ما نريد تعليمه وتبليغه.

٢ - لا بد من مراعاة التنوع في تخطيط وتنفيذ البرامج التعليمية، وذلك بالنسبة للعناصر المختلفة في محتواها أو أساليب عرضها أو الوسائل المستخدمة لتوضيحها.

٣ - لا بد من مراعاة الدقة والاختيار الحسن في التخطيط للعنصر الذي يشكل المحتوى اللفظي، ومراعاة تناسبه مع الموضوع، ومع المتلقين، ويمكن استخدام أكثر من نمط تعليمي في النص الواحد.

٤ - إن المعلم أو الداعية يجب أن يتأثر بما يقول حتى تكون هذه رسالة

بصرية انفعالية تغزو أبصار ووجدان المتلقين والمتعلمين منه، كما كان يفعل الرسول الكريم ﷺ.

٥ - إن التنظيم الزماني والمكاني للتعليم يعتبر ضرورة ملحة، يرتبط بحاجة وظروف المتعلمين بصورة كبيرة، ولذلك علينا أن نهتم بعاملي الزمان والمكان، وفقاً لحاجات المتعلمين في التخطيط التعليمي.

٦ - يمكن الاستفادة من وسائل العصر المادية المتوافرة والمألوفة للمتعلمين، واستخدامها في التبليغ، لأننا وجدنا أن الرسول الكريم ﷺ استخدم الكتابة والرسم، وأشار للأشياءة المعلومة الحية والجامدة.

مراجع البحث

١ - المصادر العربية

١ - القرآن الكريم.

٢ - ابن الحجاج، مسلم (١٩٩٨). **صحيح مسلم**. الرياض: بيت الأفكار الدولية.

٣ - ابن حنبل، الإمام أحمد (د ت). **مسند أحمد** ج ٤. القاهرة: مؤسسة قرطبة.

٤ - أبو حطب، فؤاد وصادق، آمال (١٩٩١). **مناهج البحث وطرق التحليل الإحصائي**. القاهرة: الأنجلو المصرية.

٥ - أبو غدة، عبدالفتاح (١٩٩٧). **الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم**، ط٢. حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية.

٦ - البخاري، محمد بن إسماعيل (١٩٩٨). **صحيح البخاري**. الرياض: بيت الأفكار الدولية.

٧ - البيلي، محمد والعمادي، عبدالقادر والصمادي، أحمد (١٩٩٨). **علم النفس التربوي وتطبيقاته**، ط ٢. الكويت: مكتبة الفلاح.

٨ - الزنتاني، عبدالحميد الصيد (١٩٨٤). **أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية**. تونس: الدار العربية للكتاب.

٩ - السامرائي، مهدي صالح (٢٠٠٠). استراتيجيات وأساليب التدريس المتبعة لدى أعضاء الهيئة التدريسية في كليات التربية في بغداد. **المجلة العربية للتربية**، ٢٠ (١)، ٨٧ - ١١٠.

١٠ - السيد، محمد علي (١٩٩٧). **الوسائل التعليمية وتكنولوجيا التعليم**. عمان: دار الشروق.

١١ - الطوبجي، حسين حمدي (١٩٨٧). **وسائل الاتصال والتكنولوجيا في التعليم**، ط ٨. الكويت: دار القلم.

١٢ - الفياض، محمد جابر (١٩٩٥). **الأمثال في القرآن الكريم**، ط ٤. فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

١٣ - النغيمشي، عبدالعزيز بن محمد (١٩٩٥). **علم النفس الدعوي**. الرياض: دار المسلم.

١٤ - الهاشمي، عبدالحميد (١٩٨٥). **الرسول العربي المربي**، ط ٢. الرياض: دار الهدى للنشر والتوزيع.

١٥ - بكار، نادية أحمد (٢٠٠٠). ممارسات الطالبات المعلمات لمعايير التدريس الحقيقي (الأصيل) بكلية التربية جامعة الملك سعود. **رسالة الخليج العربي**، ٢١ (٧٥)، ٩٥ - ١٥٣.

١٦ - بدري، مالك (١٩٩٣). **التفكير من المشاهدة إلى الشهود**، ط ٣. فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

١٧ - توق، محي الدين، وعدس، عبدالرحمن (١٩٨٤). **أساسيات علم النفس التربوي**. نيويورك: جون وايلي.

١٨ - زيتون، عايش محمود (١٩٩٥). **أساليب التدريس الجامعي**. عمان: دار الشروق.

١٩ - سلامة، حسن علي (١٩٩٠). نحو نظرية للتدريس. في فاروق عبدالسلام، **بحوث نفسية وتربوية**. الرياض: دار الهدى، ١٨٨ - ٢١٩.

٢٠ - سويد، محمد نور بن عبد الحفيظ (١٩٩٤). **منهج التربية النبوية للطفل ط ٥**. بيروت: مؤسسة الريان.

٢١ - عبدالله، سامي محمود (١٩٨٧). الاهتداء ببعض سمات طرق التدريس التي استخدمها الرسول ﷺ لتطوير تدريس التربية الدينية الإسلامية. **مجلة التربية**، (٧)، ٧٣ - ٩٨.

٢٢ - فلاندرز، ادموند امدون (١٩٨٦). **دور المدرس في حجرة الدراسة**. ترجمة عبدالعزيز البابطين، الرياض: عمادة شؤون المكتبات - جامعة الملك سعود.

٣٣ - قطامي، يوسف (١٩٩٨). **سيكولوجية التعلم والتعليم الصفي**. عمان: دار الشروق.

٢٤ - قطامي، يوسف وقطامي، نايفة (١٩٩٨). **نماذج التدريس الصفي**، ط٢. عمان: دار الشروق.

٢٥ - قرص مضغوط (١٩٩٦) **موسوعة الحديث الشريف**، الإصدار الأول ١,١. الرياض: شركة صخر لبرامج الحاسب.

٢ - المصادر الأجنبية:

1 - Azar, B. (2000). Facial expressions. **Monitor on Psychology**. 31 (1), http://www.apa.org/monitor/jan00/sc1.html.

2 - Bradley, S. & Bradley, J. (1997). Modifying curriculum through divergent learning across disciplines. **ERIC**_NO: ED 413075.

3 - Bulgren, J.A., Deshier, D.D., Schumaker, J.B., and Lenz, B.K. (2000). The use and effectiveness of analogical instruction in diverse secondary content classrooms. **Journal of Educational Psychology,** 92 (3), 426-441.

4 - Diller, J. (1996). Write ideas: Strategies for improving writing skills in the workplace. **ERIC**_NO: ED405019.

5 - Eliot, A. & Drake, S. M. (1999). Concentric storying: A vehicle for professional development in teacher education. **ERIC**_NO: ED 431744.

6 - Genter, D. & Holyoak, K. J. (1997). Reasoning and learning by analogy. **American Psychologist,** 52 (1), 32-34.

7 - Hendrickson, J. M. (1992). Story telling for foreign language learners. **ERIC**_NO:ED355824.

8 - Ma, R. (1994). Story-telling as a teaching-learning strategy. **ERIC_NO:ED 379713.**

9 - Mayer, R. E.; Moreno, R.; Boire, M., and Vagge, S. (1999). Maximizing constructivist learning from multimedia communications by minimizing cognitive load. **Journal of Educational Psychology,** 91 (4), 638-643.

10 - Miller, G.A. (1994). The magical number seven, plus or minus two: Some limits on our capacity for processing information. **Psychological Review**, 101(2),343-352.

11 - Moreno, R. (1999). Cognitive principles of multimedia learning. **Journal of Educational Psychology,** 91 (2), 358-368.

12 - Raines, S., & Isbell, R. (1999). Tell it again! Easy - to - tell stories with activities for young children, **ERIC**_NO:ED430692.

13 - Reeve, J.M.; Bolt, E.; and Cai, Y. (1999). Autonomy-supportive teachers, how they teach and motivate students?. **Journal of Educational Psychology,** 91 (3), 537-584.

14 - Reilly, R.R. & Lewis, E.L. (1991). **Educational Psychology.** New York: Macmillan Publishing Co., Inc.

15 - Schraw, G. (1998). The role of choice in reader engagement. **Journal of Educational Psychology,** 90 (4), 705-714.

16 - Shah, P. (1999). Graphs as aids to knowledge constructions techniques for guiding the process of graph comprehension, **Journal of Educational Psychology,** 91 (4), 690-702.

17 - Shaughnessy, J. & Zechmeister, E. (1994). **Research Methods in Psychology**. New York: McGraw-Hill, Inc.

18 - Solso, R.L. (1998). **Cognitive Psychology** (5th Ed). Boston: Allyn & Bacon.

19 - Surmay, J.J. (2000). Do children, when they write, borrow ideas from the literature they read?. **ERIC**_NO:ED 438562.

20 - Wentzel, K.R. (1999). Social-motivational processes and interpersonal relationships. **Journal of Educational Psychology,** 91 (1), 76-97.

21 - Wolf, L.O. (1993). Family narrative: How our stories shape us? **ERIC**_NO:ED 368002.

22 - Wood, E. and others (1994). Enhancing adolescents' recall of factual content: The impact of provided versus self- generated elaboration. **ERIC_** NO: EJ 484081.

23 - Wood, E.; Willoughby, T.; McDermolt, C.; Motz, M.; Kaspar, V., and Ducharme, M.J. (1999). Developmental differences in study behaviors. **Journal of Educational Psychology,** 91 (3), 527-536.

INSTRUCTIONAL ELEMENTS IN THE PROPHET'S VERBAL ADDRESS

Dr. Alserr A. M. Sulaiman

Teachers' College, Ha'il, K.S.A

Abstract

The prophet's verbal address means the method used by Prophet Mohammed (peace be upon him) to clarify the different aspects of Islamic message, through his verses (Hadieth), so his companions (Sahaba) were able of memorizing and carrying them on to others. The main purpose of this study is to get to the instructional elements in the Prophet's verbal address. This is done through an analytical approach to the authentic sayings (Hadieth) of the Prophet, agreed upon by both Bukhari and Muslim.

The study reveals that the sayings of the Prophet are messages with integrated elements as to its educational constituents. They also incorporate several instructional facilitators. These are:

1 - Instructional modes of the verbal content of the Hadieth: instructional exemplification, instructional story, questioning, numerical identification, metaphor, and direct verbal address.

2 - Modes of performance of the Hadieth: Repetition, calling, keeping silent, change of sound pitch, and verbal interaction.

3 - Body language and behavior: Facial expressions, smiling and laughing, eye contact and weeping, gesture, posture, and emotional representation.

4 - Instructional aids: Writing, drawing, materials, aids to draw attention, flash-views, and using natural phenomena.

5 - Conditional and objective circumstances: Speaker's character, location, timing, quietness, appropriate level of sound, gradation, brevity, peace and love, freedom, visual contact, review visit, concise answers, kindness and evaluation.